شهرية ثقافية
الهدى
العدد ٢٩٦ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

الزهراء، عليها السلام، تطلق حرب الكلمة ضد الإنحراف السياسي

إليكِ سيدتي:
بإمكانكِ أن تكوني
مَثلاً للزهراء عليها السلام

المرأة دورٌ سامٍ وتحولات خطيرة

مجلة الهدى

شهرية ثقافية تصدر عن دار الهدى للثقافة و الإعلام

- معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين رقم (٣٣٢)
- رقم الإيداع في دار الكتب و الوثائق في بغداد رقم ١٥٧١

المرجع والامة.....٢
بصائر.....٦
الأخبار ٨
قضية الشهر.....١٢
حوارات قرآنية ٢٠
إضاءات تحبرية.....٢٤
مجتمع.....٣٢
ثقافة رسالية.....٣٨
أسطرلاب.....٤٣
أسوة حسنة.....٤٦
أدب.....٥٤
استراحة القلم.....٥٦

للتواصل و الإستفسار: www.alhodamag.com

رئيس التحرير: mahdali12@gmail.com

هيأة التحرير: editor@al-hodaonline.com

بريد المجلة: editor@al-hodaonline.com

الهاتف: +9647809162815

العنوان: كربلاء المقدسة، صندوق البريد (١٥٥)

رئيس التحرير: محمد علي جواد تقي

هيأة التحرير: نعمان سالم التميمي
الشيخ ماجد الطرفي
السيد جواد الرضوي

الإشراف اللغوي: د.خالد العلواني

التصميم و الإخراج: عبد الله ناصر

التصوير: كاظم داشي

جميع الحقوق محفوظة لدار الهدى للثقافة و الإعلام.

لننطلق من الأيام الفاطمية

• رئيس التحرير

لم يتكرر ذلك اليوم على المسلمين ابداً، عندما ظهرت فيه ابنة رسول الله، صلى الله عليه وآله، أمام الجموع وهي تكشف مواطن الخلل في الايمان والاخلاق المسبب لسكوتهم عن ذلك الانحراف الكبير، ففي تلك الخطبة العصماء، أضاءت الصديقة الزهراء، عليها السلام، حقيقة فضل الرسالة على المسلمين وعلى الانسانية جمعاء، وكيف أنها الأجدر بين كل الرسالات السماوية والافكار البشرية لتحقيق ما يصبو اليه الانسان في حياة تحكمها قيم الحق والفضيلة، وتمكنه من تسخير كل شيء لما هو أفضل.

كانت الزهراء، عليها السلام، في تلك اللحظات التاريخية امرأة شابة في الثامنة عشرة من عمرها، وألقت خطبتها الفدكية الصاعقة على جمع من كبار القوم المدّعين الحق، فمزقت حجاب تصورهم بالأفضلية وبالمشروعية، بحكم صحبة النبي الأكرم، فهي انطلقت من بيتها للمطالبة بحقها في أرض فدك فورطت الغاصبين ومعهم الصامتين لهم، بثغراتهم النفسية والعقدية، من «حسيكة النفاق وسَمِل جلباب الدين»، في إشارة منها الى داء النفاق والازدواجية المزمن لدى البعض، والهشاشة في العقيدة المؤدية الى انتهاك حرمة الدين، فاتسع المطلب الى بناء انساني مركّز: «أَنْتُمْ عِبادَ الله نَصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إِلى الأُمَمِ...»، يعيد الناس الى رياض الايمان والقيم السماوية التي جعل الاسلام قواعدها في الاسرة وعلى يد المرأة (الأم)، ويقطع طريق العودة الى قيم الجاهلية، مثل التطرّف للفئوية والذاتية التي ظهرت بوادرها آنذاك وماتزال تغذي شجرة الانحراف الاجتماعي والسياسي في الامة.

نتحدث اليوم عن ظواهر اجتماعية مثل الفساد المالي والاخلاقي، او عن حالة التصدّع في المنظومة الفكرية لابناء الامة، ثم نقرأ ونسمع بالتنظير للحل، وكلها تمطر الرجل بسهام النقد واللوم على ما جنت يداه، ثم نصحه بالعدول عما هو عليه الى جادة الصواب، فيما لسان حاله أن دوافعه لسلوك ذلك الطريق لم تكن ذاتية مئة بالمئة، إنما للدوافع الأنثوية مدخلية مؤثرة بنسب عالية، وإلا ما الذي يدفع بموظف الدولة مع امتلاكه السكن والسيارة والراتب المجزي، لأن يبحث عما يميزه ليتفوق على الآخرين بمزيد من المال والامتيازات؟ وما الذي يجعل بعض الشباب ينتهك حرمة المجتمع وحقوقه بممارسات غير لائقة؟ وما الذي يجعل بعض الفتيات والنسوة يتمردن على الحشمة والتحفّظ بشكل صارخ؟!

تحدث العلماء عن دور الأم في ترسيخ الولاء لأهل البيت، عليهم السلام، فكانت من ابرز ثمار هذا الجهد التربوي؛ المشاركة الواسعة والفعالة في الشعائر الحسينية والاصرار على زيارة الامام الحسين، عليه السلام، وسائر المراقد المقدسة، ومع تطور الزمن وتلاحق الاحداث، ظهرت المرأة بدورها الحضاري والبناء في مظهر الزوجة وتسهم ببراعة في خلق مشاهد تطوع الآلاف من الرجال المؤمنين للدفاع عن الارض والعرض والدين بما أذهل العالم العاجز عن مواجهة عصابات التكفير والارهاب الجاهلي.

إن الأيام الخاصة بإحياء مصاب الصديقة الزهراء، عليها السلام، خلال شهري جمادى الاولى وجمادى الثانية، يعد فرصة أخرى بتذكير المرأة؛ الفتاة المتعلمة والزوجة والأم، بأنها قادرة على الإسهام بقوة، ليس فقط في الحؤول دون استفحال الازمات القائمة، بل وفي البناء والتنمية، على الصعيد الانساني والاجتماعي وحتى السياسي، فبدلاً من الحديث عن «حقوق المرأة» او «حرية الفتاة المتعلمة» يكفي الالتفات الى المساحة الرحبة التي وفرها الاسلام لبنات حواء لأن يوظفن قوة العاطفة التي وهبها الله لهنّ في بناء المجتمع بالاشتراك مع قدرات الرجل، وعند حصول أي طارئ في هذه المسيرة، فإنّ لهنّ الاقتداء بما فعلت الصديقة الزهراء، عليها السلام، بالتحول بالقوة العاطفية من الايجاب الى السلب، بإشهار سلاح المظلومية أمام مجتمع ذلك الزمان وأمام التاريخ والاجيال، فهي، عليها السلام، وقفت وتحدّت وقالت كلمتها بقوة ثم تحولت الى صف المعارضة متبعة اسلوب الصمت القاتل، ومحاربة اعدائها بالمظلومية التي صنعوها بأنفسهم، فبقيت رمزاً للنقاء والعفّة، كما هي – في الوقت نفسه – رمزاً للمرأة الناجحة في حياتها في الميادين كافة.

المرجع المدرسي يدعو الى "ولايات إسلامية متحدة" للحد من تمزيق الأمة

دعا سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي –دام ظله– العراق وتركيا وإيران إلى تشكيل نظام كونفيدرالي ينتهي إلى «ولايات إسلامية متحدة» تسهم في إقرار السلم العالمي، ومنع تمزيق بلدان وشعوب الامة، فيما طالب الإدارة الأمريكية الجديدة بتنفيذ وعدها بتعقب ومحاربة واقتلاع جذور الإرهاب والفكر المتطرف الذي تغذيه بعض الجهات في المنطقة.

وفي هذا السياق قال سماحته في جانب من كلمته الاسبوعية بمكتبه في مدينة كربلاء المقدسة بتاريخ ٢٦ كانون الثاني الماضي:

«إذا كانت بريطانيا تتجه نحو الخروج من الإطار الأوربي والنزعات الشعبوية تجتاح سائر بلاد أوربا و الإدارة الأمريكية الجديدة تتمحور حول شعار أمريكا أولاً، فمتى يقول المسلمون: بلادنا أولا»؟ و اضاف: «ألا ينبغي لنا أن نقول نحن المسلمين والعرب بالذات: بلادنا أولاً؟ ونحفظ أنفسنا من تأثيرات العوامل الخارجية التي لا تزال تخطط لتمزيق أوطاننا وضرب بعضنا ببعض»؟ مؤكدا بهذا الخصوص على «ضرورة الجلوس على طاولات مستديرة للتحاور حول مشاكل الأمة حواراً سلمياً بناءً».

وفي حديثه عن الشأن اليمني، قال سماحته: «إلى متى تستمر الحرب العدوانية والعبثية في اليمن وإلى متى تُستنزف طاقاتنا في حروب خاسرة هنا وهناك»؟ واشار سماحته الى محادثات «آستانة» لوقف إطلاق النار وحل الازمة في سوريا، بالقول: «نرجو أن نكون قد عرفنا طريق النجاة لنعود إلى أنفسنا ونحكّم عقولنا ونتطلع إلى تحقيق المصالح العليا لبلادنا».

هذا و طالب سماحته الإدارة الأمريكية الجديدة بتنفيذ وعدها بأن تكون محاربة الإرهاب من أولوياتها عبر «تحسس ومعرفة جذور الإرهاب والتي أنتجها الفكر المتطرف الذي لا يزال تغذيه بعض الجهات في المنطقة». كما دعا كلاً من العراق وتركيا وإيران إلى تشكيل «نظام كونفيدرالي فيما بينهم وثم دعوة الدول الإقليمية الأخرى إلى هذا النظام لعله ينتهي إلى الولايات المتحدة الإسلامية».

واوضح سماحته أن هذا التشكيل لو تم «سوف يسهم في إقرار السلم العالمي و إسعاد شعوب المنطقة، ولعلنا يومئذ نستطيع أن نقول كلا لمن تسول له نفسه لتمزيقنا ثم ننادي: بلادنا أولا».

ثورة إدارية شاملة ورقابة حاسمة وعادلة لمحاربة الفساد

دعا سماحة المرجع المُدرّسي –دام ظله– إلى ثورة إدارية «شاملة وصادمة و رقابة حاسمة «لمحاربة الفساد و «قفزة نوعية» لتغيير و إصلاح القوانين في العراق، فيما أعرب عن أمله بأن «يقطف الشعب العراقي ثمار تضحياته» في إشارة إلى تحرير عدد من مدن البلاد من دنس ما يعرف بـ «تنظيم داعش» الإرهابي.

وفي جانب من كلمة لسماحته خلال استقباله حشدا من الوفود والزائرين بمكتبه في مدينة كربلاء المقدسة، في التاسع عشر من كانون الثاني الماضي، شدد المرجع المُدرّسي على ضرورة «القضاء على الفساد وتباطؤ الأداء في الدوائر الحكومية وتضخم الحالة الوظيفية في البلاد». وقال سماحته إن : «التقشف الذي لا بد منه في وضعنا الراهن ينبغي أن يقارن مع التطور الإداري لكي لا يتباطأ النمو وتتراجع الخدمات».

واوضح في هذا الشأن أن : « الفساد المالي والإداري قد بلغ حداً غير مناسب للبلد وهو يضر بمستقبل الأجيال الواعدة». واضاف أن : «الفساد المالي والإداري يضر بسمعتنا كشعب أصبح في طليعة العالم بمحاربة الإرهاب».

و عدّ سماحته أن القضاء على الفساد سيكون حبراً على ورق وغير ممكن ما لم تكن هناك رقابة جدية من قبل ممثلي الشعب سواء في البرلمان أو المحافظات إلى جانب التطور الإداري. وطالب العلماء ومنظمات المجتمع المدني والقضاء برقابة «حاسمة وعادلة» لمحاربة الفساد الإداري.

ودعا إلى ما وصفه بـ «قفزة نوعية» لإصلاح القوانين وحذف كل قانون يعرقل التنمية ويساهم في نشر الفساد بسبب صعوبته وتباطؤ الدوائر في تنفيذه.وقال إن «بلادنا لا تزال تعيش حالة حرجة بين ماضٍ ثقيل بالقوانين المعرقلة لحركة الشعب وأنظمة بالية لابد لنا من التخلص منها لكي نتقدم، وبين مستقبل زاهر ننتظره بفارغ الصبر حيث يكون الاقتصاد حراً ويكون تدخل الدولة محدوداً، وتنفذ القوانين بصورة سهلة وانسيابية وبسرعة العصر الذي نعيشه». وأضاف أن على الدولة ان «تخطط لكل أوجه النشاط الاقتصادي ثم تقوم بعد ذلك بنقل المسؤوليات والصلاحيات إلى الشعب بعدالة، «لكي تتخلص الدولة من التضخم الوظيفي والبطالة المبطنة».

وفيما ذكّر المرجع المُدرّسي بقرب انجاز المرحلة التي وصفها بـ «الحاسمة» من تحرير نينوى، شدد على ضرورة «وضع خطط لمرحلة ما بعد الإرهاب» وقال «إننا نأمل أن يقطف الشعب ثمار تضحياته وينعم بحياة آمنة مرفهة».

في تأكيد جديد على إحياء التصنيع العسكري في العراق

المرجع المدرسي: السلاح كما الغذاء ضرورتان لاستقرار أي بلد

أكد سماحة المرجع المُدرّسي– دام ظله – على ضرورة «تفعيل الصناعات العسكرية» و «بذل المزيد من الاهتمام بذوي الشهداء، وبالشهداء الأحياء وهم الجرحى والمعوقون»

وفي جانب من كلمته الاسبوعية التي ألقاها بحضور حشد من الوفود والزائرين بمكتبه في كربلاء المقدسة بتاريخ الثاني عشر من الشهر المنصرم، أشاد سماحته مجددا ببطولات القوات العراقية بكافة صنوفها وتحريرها المزيد من مناطق الموصل من سيطرة تنظيم داعش الإرهابي. وقال سماحته: «نأمل بأن يكون دعم الشعب العراقي والمسؤولين للمجهود الحربي بمستوى تلك البطولات»، واضاف: «إن شعباً يقف بكل قواه سنداً لقواته المسلحة المدافعة عن القيم والوطن لهو شعب جدير بالحياة والمجد».

هذا وجدد المرجع المُدرّسي مطالبته بـ "إعادة تفعيل الصناعات في العراق ومن ذلك الاهتمام بالصناعات العسكرية"، متسائلا: "أوليس العراق يملك قاعدة صلبة لهذه الصناعات التي صرفت فيها بلايين الدولارات؟".

واوضح أن العراق يملك الخبرات الفنية والكوادر الإدارية لمثل هذه الصناعات، وقال سماحته: "إنما بحاجة إلى عزمة وطنية كبرى لإعادة تفعيل هذه الصناعات حتى لو تطلب الأمر الاستعانة بخبرات الدول الصديقة فإن ذلك يعدّ انجازاً واعداً لنا وللأجيال الصاعدة".

وأضاف: «إن السلاح كما الغذاء ضرورتان لاستقرار أي بلد».

هذا وشدد سماحة المرجع المُدرسي في كلمته على ضرورة الاهتمام بذوي الشهداء والجرحى من القوات العراقية كافة، وقال :»إن أبطالنا الذين يضحون بأغلى ما لديهم من أجلنا يستحقون كل إجلال وإنما يكرم المرء في أبنائه». وأضاف في هذا السياق: «الواجب علينا بذل المزيد من الاهتمام بذوي الشهداء، وبالشهداء الأحياء وهم الجرحى والمعوقون». وشدد سماحته بالقول: «إن علينا بذل كل ما بوسعنا من أجل إسعادهم. وحقاً إن المحارب الذي يجد من أبناء الشعب والمسؤولين الاهتمام الكبير من ضحايا الحرب يزداد شجاعة وإقداما».

من جانب آخر أوصى سماحته العلماء والخطباء والإعلاميين بـ: «ألا يألوا جهداً في تعبئة الشعب من اجل الاستمرار في دعم القوات المسلحة وجعل المعركة، الأولوية القصوى « في هذا الوقت والظرف من حياة شعبنا وبلدنا. وقال : «﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وأي إحسان أعظم من المجهود الحربي الذي جعله الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم من الجهاد، فقال: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾».

أخوّة الدم و رفاقة السلاح في قواتنا المسلحة وحدت أبناءنا المدافعين عن الدين والوطن

دعا سماحة المرجع المدرسي، دام ظله، إلى «ترميم» اللحمة الوطنية، واشار الى أن جهود السياسيين لوحدها لا تكفي. فيما أعرب عن أمله بالعشائر والمنظمات المدنية والعلماء والمؤمنين بالأديان لحمل هذه المهمة و تحقيق الوئام والسلم الأهلي في العراق، وفي العالم اجمع.

وفي جانب من كلمة لسماحته خلال استقباله عددا من الوفود والزائرين بمكتبه في كربلاء المقدسة في الخامس من الشهر المنصرم، قال سماحته: إننا ندعو الشعب العراقي بكافة مكوناته وفئاته إلى تكثيف الجهود لترميم اللحمة الوطنية التي تضررت في المنعطفات و الأحداث الأخيرة التي مرت ببلدنا. واضاف أن: «جهود السياسيين في هذا الإطار لا تكفي وإنما على الجميع العمل من أجل رأب الصدع لكي ننعم بالسلم الأهلي المستديم»

ودعا سماحته «علماء الدين من كافة الطوائف ببذل جهد استثنائي عبر التشاور والتعاون من أجل إصلاح النظرة المتشددة الحادثة عن الدين والتي صورته على أنه وسيلة للتفرق والاختلاف». و اوضح في هذا السياق:

«إن الله سبحانه وتعالى جعل الدين وسيلة للوحدة لا للتفرقة حيث قال تعالى ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ونأمل بأن يكون المؤمنون بالأديان هم عمود خيمة الوحدة ووسيلة للتعاون بين البشرية جمعاء».

هذا ودعا المرجع المُدرّسي العشائر العراقية إلى «القيام بدور أساسي في توحيد صفوف المنتمين إليها وإصلاح ما يبدر من بعضهم من أخطاء تجاه البعض الآخر»، وتابع بالقول: «يا ليت أن تقوم هذه العشائر بدور ريادي في التلاحم بين بعضها البعض وبالذات العشائر العابرة للطائفية».

و اوضح سماحته أن: «منظمات المجتمع المدني والمؤسسات الاجتماعية يمكن أن تؤدي دور عامل تقارب بين المختلفين اثنيا، كما أن الشركات والمؤسسات الاقتصادية هي الأخرى ينبغي أن تتوسع في كل أرجاء الوطن لتصبح عامل وحدة في العراق الممتحن».

كما أكد سماحته في كلمته على أن « أخوّة الدم و رفاقة السلاح في قواتنا المسلحة وحدت أبناءنا المدافعين عن الدين والوطن ولابد من استثمار ذلك في بناء صرح الوطن الواحد».

في بيان له:

المرجع المدرسي يدعو الفاتيكان لمواجهة الدعوات العنصرية التي تغذي الكراهية وتخدم المتشددين

دعا سماحة المرجع المُدرّسي –دام ظله– إلى تأسيس منظمة دولية لمكافحة الارهاب واقتلاعه من جذوره، كما دعا الفاتيكان الى مواجهة «الدعوات العنصرية».

جاء ذلك في بيان لسماحته قبيل ايام من نهاية عام ٢٠١٦ وعقب هجمات وصفها البيان بـ «الإجرامية»، كانت قد قامت بها جماعات ارهابية في الأردن وتركيا وألمانيا وأمريكا.

ودعا سماحته في البيان الى « تأسيس منظمة دولية تابعة للأمم المتحدة ومتكاملة مع مجلس الأمن لتنسيق الجهود ضد الإرهاب»، و اوضح: أن «العالم مُطالب بالمزيد من التعاون لدحر الإرهاب واقتلاعه من جذوره»، مؤكدا «إن العالم لو كان جدياً في محاربة الإرهاب بعد حوادث ١١ سبتمبر لكانت البشرية في وضع أمني أفضل». هذا وأكد سماحته على ضرورة «عدم التعامل مع هذا الخطر المحدق بانتقائية أو عبر حلول جزئية أو سطحية».

ومع حلول مناسبة رأس السنة الميلادية الجديدة (٢٠١٧)، دعا سماحة المرجع المُدرّسي في بيانه إلى «تكامل الأديان وبناء الحضارات»، داعياً بابا الفاتكان إلى الاعتراف بالإسلام «كدين وحضارة، ومواجهة الدعوات العنصرية التي لا تغذي إلا الكراهية ولا تخدم إلا المتشددين».

وقال سماحته: «إن العالم يعاني اليوم من أزمات كبيرة ولا يمكن حلها دون تعاون شامل وعميق من خلال الاعتراف المتبادل بين طوائف البشر وشعوبها وتكاملهم وتعاونهم». واضاف: «إن هذه دعوة مفتوحة أبلغناها لكل علماء الأديان في العالم قبل عامين في الفاتيكان، ونجددها اليوم، لأن هذا هو الحل الأمثل لمحاربة التشدد واقتلاع جذور الإرهاب».

الإرهاب صنيعة ثالوث المال الحرام والسلاح غير الشرعي والإعلام المضلل

قال سماحة المرجع المدرسي –دام ظله– ان أسباب و ادوات تنامي الإرهاب في العالم يعود الى ثالوث خبيث هو المال الحرام والسلاح غير الشرعي والإعلام المضلل. ودعا سماحته في جانب من إحدى كلماته الاسبوعية التي يلقيها بمكتبه في كربلاء المقدسة، إلى محاربة ثالوث الإرهاب وتوفير فرص العمل، وبث الثقافة الإنسانية ونشر قيم الإسلام المعتدل.

وأكد سماحته، أن "المال الحرام والسلاح غير الشرعي والإعلام المضلل هي أدوات الإرهاب وإنما تنشط هذه الأدوات مع الفقر والجهل والتشدد".

وطالب المرجع المُدرّسي مجلس النواب بمناقشة قانون لملاحقة داعمي الإرهاب مادياً ومعنوياً في الداخل والخارج وبالذات الإعلام المضلل الذي يستغل كل مناسبة للنيل من كرامة الشعب العراقي.

وقال سماحته إن "الشعب العراقي يضرب اليوم المثل الرائع في الشجاعة والصمود والجود ويبني وطنه على أساس الكرامة والاستقلال، ولذا فهو شعب محسود من قبل الأنظمة الفاسدة وعلينا مواجهة تلك الأنظمة بما أوتينا من قوة".

كما دعا سماحته الحوزات العلمية والقادة السياسيين إلى السعي وراء تجفيف منابع الإرهاب في الداخل والخارج. وقال "إن منبت الإرهاب؛ الافكار الخبيثة التي لا تُخرج وتُنبت إلاّ نكدا، وعلينا محاربة الفكر الهدّام ومن يستخدمه كأداة لمصالحه".

استثمار تنوع القدرات والأفكار لإعادة الوحدة الى الأمة

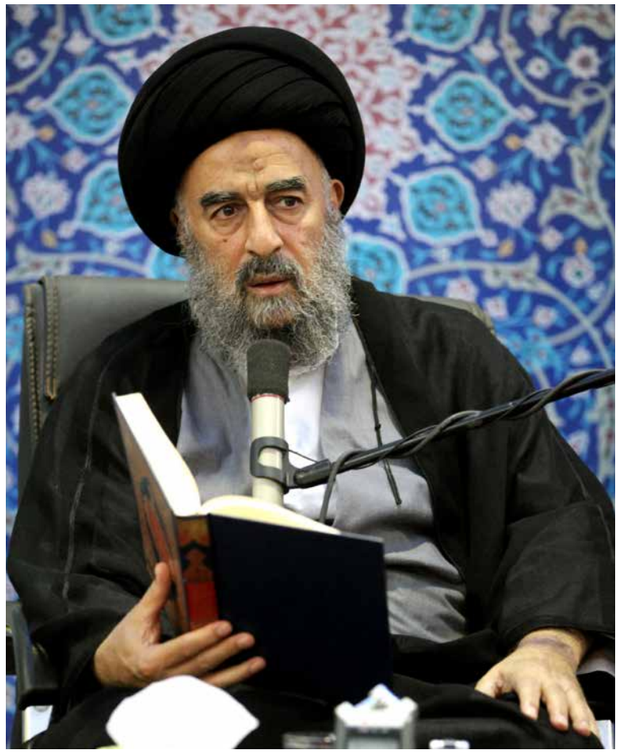

• جميع الناس أحرار بتنوع أفكارهم وأجناسهم وقدراتهم وطموحاتهم ضمن الإطار العام، ومن ثمّ يتكاملون مع بعضهم بلا تمييز

• إعداد: بشير عباس

معرفة سنن الله العامة التي تنتظم عبرها كل الخلائق، تعطينا فرصة ً كافية ً لمعرفة عمق الحقائق والغور فيما يحيط بنا من الخليقة، لأن هذه السنن هي التي تنظم بقية القوانين. فالقوانين تتدرج من المبادئ، ومن ثمّ الدستور، ومن ثمّ القانون، ومن ثمّ اللوائح، وهكذا، كما إننا نحن البشر ننظم قوانيننا عبر هذه الحالة الهرمية، فان ربنا – سبحانه وتعالى– قدّر ان تكون كل القوانين التي تحكم في الخليقة؛ من فيزياء، وكيمياء، فلك وغيرها، وكل شيء في الأرض والسماء، ترتبط بسننه – تعالى– ومعرفة هذه السنن تنفعنا في الغور في الحقائق وليس معرفة الظواهر فقط. ومن أهم سنن الله في الكون والحياة والخلائق؛ سنة التكامل، فالأشياء والخلائق في الحياة تتكامل، وفي مقدمتها؛ الانسان، فإذا أردت أن تعرف كل شيء أعرف نفسك أولاً، فمن عرف نفسه عرف ربه، لأنك خلاصة كل شيء، وأنت تمثل خريطة متكاملة من الخلق كله، وفي حياتك وكل عضو وذرة فيك تتكامل مع بعضها، ومعرفة هذا التكامل تجعلنا نعرف كيف، وما هو العالم كله؟

البعض منّا يريد أن يسيّر العالم كله حسب عقله ونظرته، بأن تكون ثمة خارطة واحدة، وطريقة واحدة، وهذا غير ممكن، فالعالم لم يُخلق هكذا، إنما خلق الله – تعالى– البشر وكل ما في الكون من موجودات بتنوع واختلاف في الانواع والألوان والألسن والقدرات والعقول وفي كل شيء، وهذا التنوع والاختلاف إنما تحكمه سنّة التكامل التي يجب علينا وعيها بدقة والعمل وفقها في الحياة، وهذه إرادة الله – تعالى– لنا بأن نعيش ونسير نحو التكامل في حياتنا، وبناء مجتمعات متكاملة من بشر متنوعين ومختلفين، وليس نحو التنافر والاصطدام.

وقد جرّب بعض الطغاة في التاريخ بأن يجعلوا الناس على شاكلة واحدة دون أي تنوع واختلاف بينهم، فارتكبوا من أجل ذلك المجازر وتسببوا بكوارث مهولة، ومع ذلك، لم ولا يستطيعوا أن يصلوا الى نتيجة سوى دمارهم و زوالهم، ومن ثمّ جمود و انهيار المجتمع. فبعض الطغاة كانوا يريدون للناس أن يكونوا في مستوى واحد، وربما حتى شكل واحد في المظهر الخارجي من الملبس وماشابه، وربما يفرضون على الناس ما يأكلون ويشربون، والاهم والأخطر فرض كيف وبماذا يفكرون ويطمحون ويعملون ويعيشون.

ورغم التجارب المريرة في التاريخ، نلاحظ محاولة جديدة من قبل الوهابية في وأذنابهم التكفيريين تحت مسميات مختفة، فهؤلاء جاؤوا ليفرضون على الناس والمجتمعات طريقة حياة خاصة وجامدة في التفكير والملبس والمأكل وفي كل شيء، والعودة الى الوراء ورفض التعليم والتطور ومواكبة العصر، والتشبث بكل ماهو قديم وإن كان خاطئاً او مكذوباً.

إن أساس ومنطلق هذا التفكير يعود الى استفحال المشاعر الذاتية في كوامن الإنسان، وميله الشديد نحو الأهواء، فنراه يسعى لفرض الطريقة التي يفكر بها ويحبها على الناس جميعاً، وهذه الحالة ليست مقتصرة على فئة محددة، بل ربما نلاحظها في أوساط واسعة في المجتمع، حيث يتأثر البعض بسمات هذه الفكرة الخاطئة، فيصل الأمر الى الامتناع عن أداء التحية والسلام لمجرد وجود شعور غامض بعدم الارتياح من هذا او ذاك...! ولا يتعامل ولا يتعاون معه كون «ظاهره غير مريح»! وهذه الطريقة من التفكير مسؤولة عن تفكك المجتمعات، عندما يُخضع البعض المنطق القرآني والأمر الرباني بالتعاون والتكامل، الى مسار أهوائه وتفكيره الذاتي الضيق، الأمر الذي يتوجب علينا التخلّص من هذا النوع من التفكير.

لقد خلق الله – تعالى– كل إنسان لعمل ودور معين، وكل واحد لديه موهبة، وعنده حرية، فهو يفجر موهبته ضمن هذا الإطار ويحقق طموحه، ولذلك الناس مختلفون بأذواقهم، وبأفكارهم، صحيح؛ أن هنالك أطر عامة؛ عقلية، وفطرية، وإلهية، يجب أن يلتزم بها الجميع، بيد أن الجميع أحرار بتنوع فكرهم وأجناسهم وقدراتهم وطموحاتهم ضمن الإطار العام، ومن ثمّ يتكاملون مع بعضهم بلا تمييز، وهذا هو منطق الإسلام، ولكن؛ مع الأسف؛ تركت هذه الامة هذه الأريحية والسماحة، بينما التزم بها الآخرون وتقدموا من خلالها.

وفي سورة المائدة، يبين الله – تعالى– في الآية (٤٨–٤٩) ما أنزل من أحكام ونور في التوراة لليهود، والإنجيل للمسيح، وأن عليهم أن يعملوا ويحكموا بذلك، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، ثم تشير الآيات الى أن تلك الكتب والديانات دخلت فيها الأهواء المختلفة، وأن على الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله، أن يحكم بينهم: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، ثم يقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، فالله – تعالى– يستطيع ان يجعل الناس جميعاً على دين وشريعة واحدة، ونبي واحد، وعلى الجميع القبول به، لكنه – سبحانه– أرسل أربعة عشر ألف من الرسل والأنبياء بكتب ودساتير وأنظمة ولأقوام شتى مختلفين بلغاتهم ونهجهم وفي اماكن مختلفة. فلماذا هذا التنوع والتعددية؟ الجواب: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، وهذه هي التكاملية عبر التنافس الإيجابي البناء الذي بدوره يؤدي الى الخيرات، ثم يقول – تعالى–: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، بمعنى ترحيل الاختلافات الى يوم القيامة، فلا تجلسوا وتجادلوا وتضيعوا الوقت والفرص والإمكانيات في صراعات جانبية وجدال عقيم.

وإذن؛ وجود التنوع والاختلاف منطلق لوجود التكاملية في الحياة، وهذا التنوع والتكاملية يؤدي الى التنافس بين الناس، والاستباق الى الخيرات، وهذا هو هدف بذاته، فلولا هذا التنافس والتسابق لجمدت الحياة، ولما تقدم البشر وتطوروا ونجحوا في مختلف المجالات. ثم اذا طبقنا هذه الرؤية على مستوى أوسع و أعمق على مستوى دولنا وبلداننا الاسلامية ـ وعلى سبيل المثال ـ العراق وايران وتركيا، لكانت النتائج غير ما نعيشه اليوم، فهذه الدول متشابهة بما فيها من تنوعات وإمكانيات مختلفة، وتستطيع ان تتكامل فيما بينها، فالعراق يملك احتياطياً كبير جداً من البترول، وشعب حيوي وتنوع كبير من ناحية الأثنية والدينية والطائفية، وغيرها، مع وجود مراكز مقدسة تجتذب الملايين من البشر، كل هذا يعطي للعراق تميزاً في المنطقة، وهكذا الجمهورية الاسلامية في إيران ومعها تركيا ايضاً؛ دولتان مقتدرتان تملكان تنوعاً كبيراً في الإمكانيات، لتتصور كيف ستكون النتائج المثمرة لو أن هذه الدول تتوحد وتتكامل مع بعضها ضمن فيدرالية قائمة على أساس التعاون الإيجابي، ومن ثم التحرك نحو الأمام، وثم دعوة سائر الدول الإقليمية والإسلامية للانضمام اليها تحت اسم «الولايات الاسلامية المتحدة».

إذن ليس مستحيلا أن تكون لدينا الولايات الاسلامية المتحدة بكل ما سينتج عنها من إيجابيات، ولعل أول ذلك أن تنتهي كل هذه الصراعات وهذه الحروب بالوكالة، وهذا التمزق الداخلي، لدينا قرآن ودستور وتاريخ، وتنوع في القدرات والطاقات بما يتيح لنا ان نوظفها في التعاون والتجمع والتكامل فيما بيننا، ونتخلص شيئاً فشيئاً مما وصل اليه حالنا من تمزق وتقسيم في بلادنا، ووصل بنا الأمر انك يجب ان تحمل جوازاً لتذهب به من إقليم الى آخر.

في الخلاصة نعود ونؤكد بالقول: دعونا نجعل سنة الله – تعالى– في الاختلاف، وسنّة الله في الحرية التي يعطيها للناس وسنّة الله في النظام التكاملي العام الشامل الذي لا يستثني أحداً، وسنّة الله وأمره بالتعاون في ما بيننا، نجعل كل هذا نبراساً ونتحرك عبره لنصل الى نتيجة إيجابية مثمرة، نعم؛ لدينا أمل، كان سابقاً وما يزال ــ وإن ضعف بسبب ما ــ ففي بيت الله الحرام حينما نذهب الى مكة المكرمة نجد حشود المسلمين الذي يأتون من مختلف أنحاء العالم، من الوان وجنسيات وأشكال وألسن وأعراق متنوعة، يطوفون حول نفس البيت وبنفس الطريقة ويسعون بين الصفا والمروة ويقفون في عرفات وفي المشعر، ويؤدون نفس المناسك، هذا كان يعطينا أمل بأن الأمة الاسلامية ستعود بأذن الله، وفي السنوات الأخيرة أضيفت الى هذه الشعيرة الإلهية التي ما تزال تقوم بدور كبير في وحدة الأمة، شعيرة الزيارات المليونية الى كربلاء المقدسة، وهذه أيضاً تمثل رمزاً للمسلمين ولتوحدهم، وتمتص ما بينهم من خلافات، وهذه النعمة الكبيرة يجب ان تستثمر ايجابيا من قبل العلماء والحكماء وأهل البصائر والزعماء المخلصين لتحقيق وحدة الأمة، وفي وحدة النظام القائم بين أبناء الأمة الواحدة.

• لدينا قرآن ودستور وتاريخ، وتنوع في القدرات والطاقات بما يتيح لنا ان نوظفها في التعاون والتجمع والتكامل فيما بيننا

برعاية العتبة الحسينية وجمعية "أمان"

مؤتمر "الإرشاد الأسري" في بيروت لبلورة نظرية إرشادية وفق الرؤية الاسلامية

من أجل الحفاظ على القواعد المتينة لمجتمع متماسك، وصونه من موجات التأثير الخارجي، عقد مؤتمر «الإرشاد الأسري وآفاق تطويره» في العاصمة اللبنانية بيروت، في الثالث عشر من كانون الثاني الماضي، برعاية العتبة الحسينية المقدسة، وبالتعاون مع جمعية «أمان للإرشاد السلوكي والاجتماعي» اللبنانية، و بمشاركة عدد من الهيئات والجمعيات والعلماء والباحثين في مجال الارشاد الاسري والتكوين الاجتماعي.

وقد ترأس الجلسة الأولى المفتي الجعفري الممتاز الشيخ أحمد قبلان، وتحدث عن المحور الأول للمؤتمر تحت عنوان «تجارب الإرشاد الأسري»، وقال إن «قضية الارشاد الاسري ضرورة ماسة وتتصل جدا بقضايا الوعي والتربية والتحفيز».

ثم عرض المستشار النفسي في مركز الارشاد الأسري التابع للعتبة الحسينية المقدسة، تجربة مراكز الارشاد الاسري في العراق، مشيرا الى ان هذه المراكز المجانية تهدف لحل المشاكل الاسرية وتنمية الاسرة في المجتمع وتطوير مهارات المرأة كما لتطوير ادارة الرجل ايضاً.

أما المحور الثاني والذي كان تحت عنوان «عالم الدين والإرشاد الأسري»، والذي ترأسه رئيس قسم التربية والتعليم في العتبة الحسينية المقدسة، الاستاذ عبد الحميد عبد العزيز، وقدمت من خلاله الدكتورة سهير الغالي كلمة تناولت فيها الحاجة الى الارشاد الاسري في المحاكم الشرعية، مشيرة الى دور الاختصاص الاجتماعي في المحكمة الشرعية على ضوء تجربة ودراسات.

ثم كانت كلمة لرئيس الهيئة الادارية لتجمع العلماء المسلمين، الشيخ حسان عبد الله، تحت عنوان «اعداد عالم الدين لممارسة الإرشاد الاسري» الذي يرى أن إعداد عالم الدين للإرشاد الأسري، من أهم الموضوعات التي يجب ان تسعى اليه الحوزة العلمية كونها المكان الاول لإعداد عالم الدين، ثم ان ينظر عالم الدين الى دوره كوريث للنبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، أولاً؛ و أمين على الاسلام ثانياً؛ وثالثاً ان يثقف المجتمع بضرورة وجود الإرشاد الأسري منذ ما قبل الزواج و اثناءه، وحتى الى ما بعد تكوين الاسرة، وهنا يكمن دور عالم الدين في اعداد خطاب في الإرشاد الأسري في كل المواقع التي يتولاها.

أما المحور الثالث والاخير فكان تحت عنوان «الإرشاد الأسري من منظور اسلامي» والذي ترأسه رئيس جامعة المعارف الدكتور علي علاء الدين، وفي هذا الاطار أكد مستشار مركز أمان للشؤون العلمية الدكتور طلال عتريسي في كلمته حول «اسباب تأسيس مراكز الإرشاد في البلدان الاسلامية»، وان المجتمعات الاسلامية عموما لم تعرف فكرة الإرشاد الاسلامي ولم يكن هناك تخصص ومؤسسة إرشاد أسري؛ لان القاعدة تقول بأن المجتمعات تنتج المؤسسات بحسب الحاجة.

وختاما كانت الكلمة لمديرة مركز سكن للإرشاد الأسري، اميرة برغل تحت عنوان «المرجعية الاسلامية للارشاد الأسري من خلال التجارب الميدانية»، لفتت فيها الى ان الاسلام سبق الغرب بسنوات كثيرة في اتيان اهمية المشورة وحدودها وصفات المسترشد والمشير عليه، وخلصت الى ان الاسلام منهج شامل للحياة يهدف الى ارشاد اتباعه الى الطريق الامثل لتحقيق الذات والارتقاء بالنفس الى مدارج الكمال الانساني وهو اقصى ما يتوخاه أي إرشاد.

واختتم المؤتمر بجملة من التوصيات ركزت على المحافظة على روحية خدمة الناس في مجال الإرشاد الأسري، اضافة الى توثيق وتقييم الحالات التي تعالجها وتحديد اولويات العمل الإرشادي بناء على حاجات المجتمع، وتشكيل فريق عمل مكون من عالم دين ومرشدين اجتماعيين ومتخصصين في المجالين التربوي والنفسي اضافة الى نشر ثقافة الاستشارة بين الناس واهميتها، وبذل جهود لبلورة نظرية ارشادية وفق الرؤية الاسلامية.

موكب الشهيد النمر يواصل دعمه اللوجستي لأبطال الحشد الشعبي

تأكيداً على الموقف الجماهيري الداعم لأبطال الحشد الشعبي، بالمال والغذاء والدواء ومختلف المستلزمات الضرورية، ما تزال قوافل «موكب الشهيد النمر» تتحرك اسبوعياً كل يوم جمعة من مدينة كربلاء المقدسة، صوب جبهات القتال وهي تحمل الدعم اللوجستي الى المرابطين في مناطق مختلفة.

وفي الثالث عشر من الشهر الماضي، تحركت قافلة محملة بمختلف الدعم اللوجستي من كربلاء المقدسة، بإشراف المجاهد محمد جابر الشمري، مع عدد من الاخوة المؤمنين، وقد شملت جولة «موكب الشهيد النمر»، مناطق بيجي والقيارة كما عرّج على النازحين من مناطق القتال، وأمدّهم بما تيّسر من المواد الغذائية والملابس. وذكر الموفد الاعلامي لموكب الشهيد النمر، فان القافلة توجهت الى مصفى بيجي وقدمت المواد الغذائية الى المرابطين من ابطال الحشد الشعبي، كما قدم عدد من الأسرة لمستشفى في منطقة القيارة المحررة، الى جانب كميات كبيرة من المواد الغذائية، كما عرّجت القافلة على النازحين من مناطق القتال وتزويدهم بالمواد الغذائية والملابس، كما زوّدت القافلة «موكب الغاضرية الخدمي» الثابت في منطقة جبال مكحول.

يذكر أن «موكب الشيخ النمر»، تأسس على يد ثلّة من أهالي كربلاء المقدسة، وفي طليعتهم الاخ المجاهد محمد علي الشمري، في يوم استشهاد آية الله الشيخ نمر باقر النمر، الذي أعدم على يد السلطات السعودية الجائرة.

في منتدى القرآن الكريم

لماذا الالحاد؟ وماهو الدليل على وجود الله؟ و هل للرب خالق؟

هـذه الأسـئلة والكثيـر غيرهـا تناولهـا منتدى القرآن الكريم في ملتقاه الاسبوعي باسـتضافة اسـتاذ المعـارف فـي الحـوزة مشـهد المقدسـة، سـماحة السـيد علـي الرضـوي، فـكان لـه البحـث المتميّـز تحـت عنـوان: التحـدي الاسـلامي لغـزو الالحـاد.

ابتدأ سماحته بذكر قوله –تعالى–:

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، ثـم قـال سـماحته:

ان النعـرات التـي نسـمعها هنـا وهنـاك، تسـعى بطريقـة او بأخـرى لإنـكار وجـود الـرب –تعالـى– لكـن؛ فـي نهايـة المطـاف لا يسـتطيعون، والسـبب فـي ذلـك أنهـم يأتـون عـن طريـق «الانكاريـة»، مثـال ذلـك؛ سـؤالهم: «أيـن الدليـل علـى وجـود اللـه»؟! هـذا التسـاؤل لا يـدل علـى عـدم وجـوده –تعالـى–.

ففـي قضيـة إثبـات جـود اللـه، لا تحتـاج الـى نظريـات معقـدة، إنمـا القضيـه واضحـة، فالامـام الصـادق، عليـه السـلام، يقـول فـي الـرد علـى مـا الدليـل علـى وجـود اللـه:

«وجـود هـذه الافاعيـل التـي دلـت علـى صانـع صنعهـا»، بمعنـى أن كل فعـل فـي هـذا الكـون يحتـاج الـى فاعـل، حتـى الفعـل العشـوائي يحتـاج الـى فاعـل.

فمـن يقـول: أنـا أؤمـن بنظريـة دارون، وهـو ريتشـارد دوكنـز، كبيـر الملحديـن، يدعـي ان لا يمكـن لأحـد ان يشـكك بهـا، ومـن اراد ان يشـكك بهـا كمـن يشـكك فـي دوران الارض حـول الشـمس ويقـول الشـمس تـدور حـول الارض! بينمـا هـذه النظريـة، الـى الان لـم تثبـت صحتهـا علميـاً وهـي مشـكك بهـا، مـع ذلـك؛ فـان نلاحـظ وجـود اللـه –تعالـى– مشـكك بـه اصـلاً!

ثـم بـين سـماحة السـيد الرضـوي، ان البشـر وغايـة مـا توصـل اليـه مـن تطـور هـو الوصـول الـى القمـر، وهـو كوكـب قريـب مـن الارض، فـي حـين ان الارض جـزء مـن مجـرّة «درب التبانـة» وهـذه جـزء مـن مجـرّة تتكـون مـن ٢٠٠مليـار نجمـة، وهـذه المجـرّة التـي تتكـون مـن٢٠٠ مليـار نجمـة، جـزء مـن ٢٠٠ مليـار مجـرّة حسـب مـا توصـل إليـه علمـاء الفلـك، ثـم يأتـي الانسـان الـذي لـم يتخـط القمـر، ويقـول: لا وجـود للـرب!

إن الادلـة علـى عجـز البشـر كثيـرة جـداً؛ منهـا مـا لـم يتوصـل اليـه العلـم الحديـث مـن عـلاج لكثيـر مـن الامـراض المسـتعصية، فابتكـر المضـادات الحيويـة، وغايـة مـا فـي البشـر أنـه لقـح بويضـة بنطفـة فأنتجـت بشـراً ضمـن قانـون الهـي، هـو لـم يصنـع البويضـة ولا النطفـة، ولا وضعهمـا فـي جـو مـن صنعـه، بـل فـي رحـم بشـري فهـل هـذه قـدرة؟

فغالبيـة الروايـات والقـرآن الكـريم، تضـع اليـد علـى الوتـر الحسـاس، وهـو ان البشـر محتـاج الـى شـيء أكبـر منـه، وهـذا الشـيء غيـر محتـاج ولـم يخلـق مثلـه بـل هـو قيّـوم بذاتـه وهـو اللـه –عـزّ وجـل– يقـول الامـام زيـن العابديـن: «طلـب المخلـوق مـن المخلـوق ظلـه مـن عقلـه»، وذهـاب البشـر الـى الالحـاد ليـس الـى لأجـل الطغيـان، والشـواهد علـى ذلـك كثيـرة، فالملحـد غالبـاً مـا يبحـث عـن التحـرر مـن قانـون الهـي يسـير ضمنـه، بمعنـى أنـه يطغـي علـى ربـه فيُلحـد.

وبعـد إلقـاء كلمتـه، اسـتمع سـماحة السـيد الرضـوي الـى أسـئلة الشـباب الحاضريـن، فسـأل أحدهـم: كيـف نجيـب علـى الشـبهة القائلـة: مـن خلـق اللـه؟ وسـأل آخـر: كيـف نـرد علـى شـبهة؛ «إلـه الفراغـات»؟ وسـأل ثالـث: يدّعـي الملحـد أن الحـدود فـي الديـن أسـاس لإدعائـه أنـه ديـن لا إنسـاني، ويجـب تركـه فكيـف نـرد؟

أجـاب سـماحته عـن السـؤال الأول بقولـه:

إن الأسـاس فـي فهمنـا؛ الفـرق بـين الخالـق والمخلـوق، فاللـه كخالـق لا يحتـاج بذاتـه إلـى أي شـيء، وبالتالـي لا يكـون مخلوقـاً، والمخلـوق لضيـق تفكيـره و احتياجـه الدائـم للخالـق، فظـنّ أن الخالـق مثلـه، فطـرح هكـذا شـبهات. وعـن السـؤال الثانـي؛ قـال: إن الملحـد يخـرج مـن الفيزيـاء فـي العلـم والتطـور وغيـره الـى الميتافيـزك، او مـا وراء الطبيعـة، بإنكـاره لوجـود الـرب ويدعـى هكـذا نظريـات، فـي حـين يُشْـكل علينـا إثبـات وجـود الـرب مـن خـلال وجـود الموجـودات وهـو نفـس الطريـق، بمعنـى خـروج مـن الطبيعـة لمـا وراء الطبيعـة. وعـن السـؤال الأخيـر رد قائـلاً: لا يحـق لـك أن تدعـي أن الحضـارة الغربيـة ظالمـة وفاسـدة وسـفاكة لـو ذهبـت إلـى مستشـفى هنـاك و أرادوا بتـر سـاقك لمـرض مـا فيهـا كـون هـذا الحـدث يحصـل فـي مستشـفى واحـد، وكنـت مريضـاً فحكمـت علـى الـكل بالجـزء، فكيـف تحكـم علـى الديـن الاسـلامي مـن خـلال جـزء مـن احكامـه الفقهيـة والتـي وضعـت لتنظيـم المجتمـع؟ فالأئمـة لـم يقيمـوا حـد الـردة إلا علـى مرتـد واحـد فقـط.

الاحتلال الفكري والاحتلال العسكري وجهان لعملة واحدة

خـلال ملتقـاه الإسـبوعي اسـتضاف منتـدى القـرآن الكـريم، سـماحة الشـيخ عبـد اللـه الصالـح، أحـد أبـرز قـادة الحـراك الجماهيـري فـي البحريـن، للحديـث عـن الغـزو الفكـري وآثـاره الخطيـرة علـى المجتمعـات الإسـلامية ممـا لا يقـل أهميـة عـن الغـزو العسـكري المباشـر، حيـث ابتـدأ سـماحته مبينـاً: ان اتجاهـات البشـرية ككل هـي فـي البحـث عـن المصالـح، ولكـن اللـه –عـز وجـل– جعـل الانبيـاء و الاوصيـاء عكـس هـذا الاتجـاه فكانـوا لخدمـة الديـن والمجتمـع، حيـث يقـول الرسـول الأكـرم: «نحـن معاشـر الانبيـاء بعثنـا لتوزيـع المـال لا لكنـزه».

إن الـدول الإسـلامية فـي عصـر الامويـين والعباسـيين وحتـى العثمانيـين لـم تمثـل الإسـلام تمثيـلًا صحيحـاً وجُعِـلَ النـاس ينظـرون للإسـلام بنظـرة مغايـرة، فحدثـت لا لنشـر الديـن إنمـا للاسـتيلاء علـى السـلطة، وفـي ظـل هـذه الاوضـاع رأى الاسـتعمار أن المنطقـة مهيـأة للسـيطرة عليهـا، ولكـي يُحكِـم هـذه السـيطرة، اسـتعمر فكريـاً وعسـكرياً فبـدأ اسـتعمارهم الفكـري بالمـدارس، وشـيئاً شـيئاً جعلـوا الديـن حصـة مـن الحصـص الدراسـية لتجريـد النـاس عـن مفاهيمـه.

وأضـاف سـماحة الشـيخ قائـلاً: إن معاهـدة سـايكس بيكـو، وإن أنهـت الوجـود العسـكري للـدول الغربيـة لكنهـا أبقـت علـى نفـوذ سياسـي واسـع فـي بلداننـا، كان لـه تأثيـر فكـري علـى شـرائح واسـعة مـن مجتمعاتنـا، وأن كثيـراً مـن بلداننـا وإن لـم تكـن مسـتعمرة لكنهـا بثرواتهـا بنيـت الـدول الغربيـة». وتضمـن برنامـج المنتـدى أيضـاً فقرتـه الاسـبوعية؛ حـوارات، حيـث كان الحـوار مـع أحـد مجاهـدي الحشـد الشـعبي مـن لـواء علـي الأكبـر وهـو الحـاج، أبـو أمجـد، حيـث حـدث الحضـور عـن أجـواء الجهـاد فـي سـبيل اللـه فـي قواطـع العمليـات ومـا يشـعر بـه المجاهـد فـي تلـك المناطـق والظـروف، وقـد حـاوره الأخ المهنـدس مصطفـى فـواز.

المرأة.. دور سامٍ وتحولات خطيرة

● الشيخ فارس الجبوري

لا يخفى على أحد ان اغلب الخطابات القرآنية التي وجهت الى عامة الناس او المسلمين، إنما هي موجهة للمرأة كما الرجل تماماً، كما ان الإسلام قد جعل الأدوار بين الرجل والمرأة أدوارا تكاملية، يكمل أحدهما الآخر، وحملهما معاً المسؤولية الكاملة في إصلاح الارض ووراثتها، واشركهما في الثواب والعقاب؛ وهكذا، فان المرأة تتحمل مسؤولياتها كاملة، ولن تُعذر بتركها خلاف أوامر الشارع المقدس، إذ يقول تعالى: ((وقفوهم انهم مسؤولون))، كما أن رسول الرحمة، صلى الله عليه وآله، اكد هذه الحقيقة اذ قال:((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...)).

● المسؤولية الاجتماعية

ولعل المسؤولية الاجتماعية للمرأة، تُعد أخطر هذه المسؤوليات واعظمها، ولاشك أن أدوار المرأة ومسؤولياتها الاجتماعية اليوم قد ازدادت بشكل كبير نتيجة تطورات الحياة وتعقيداتها، ومن هذه الأدوار:

أولاً: الدور التربوي، فلا يختلف اثنان على أن الهدف الأسمى لرسالات السماء؛ هداية الإنسانية من خلال منهج تربوي دقيق، وهذه الهداية لا تتحقق دون بلوغ الانسان مرحلة عالية من الخلق الكريم، وفي هذا يقول النبي الكريم، صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وهكذا أصبحت تربية الانسان هدف الأنبياء والمصلحين، بل وهدف ومسؤولية الانسان بشكل عام وبكلا جنسيه؛ الرجل والمرأة، ولقرب الأبناء الى الأم اكثر من الأب، وللطبيعة السيكولوجية للمرأة، ولحكمة الله تعالى في جعل المرأة حاملةً للجنين، وواضعته، وراضعته ومربيته؛ فقد تميزت على الرجال في هذا الدور الأهم وهذا الشرف الأعظم.

ثانياً: الدور الثقافي، وتتمثل في طلب العلم بما يؤهلها القيام بدورها الاجتماعي، ويأتي في مقدمة العلوم؛ العلوم الدينية، ومنها تتفرع عليها مسؤولية التبليغ والإرشاد الديني والثقافي والأخلاقي.

ثالثاً: الدور الإصلاحي؛ وذلك في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد، ولعل مثالنا الأبرز في الإصلاح السياسي، ما نهضت به كلٌ من الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء، وابنتها العقيلة زينب، عليهما السلام، وبما أن الإصلاح مسؤولية الجميع، فحريٌ بالمرأة ان تتحمل مسؤولياتها في هذا الاتجاه.

رابعاً: الدور الإعلامي، فالفرصة سانحة اليوم للمرأة لممارسة دور إعلامي مؤثر عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ومواقع الأنترنت، وما وفرته تقنيات الاتصال الحديثة، حيث يعد هذا الحقل اليوم هو الأهم في مجال غرس الوعي الثقافي في نفوس الناس، كما ان التطورات الحاصلة، فرضت على المرأة واجبات وادواراً أخرى كشغل بعض الوظائف الخاصة التي تختص بالمرأة كالطب النسائي والتعليم النسائي وغيرهما.

● تحولات متسارعة و بذور خيرة

تمر بلداننا بفترة تحولات حادة على مختلف الأصعدة، مما انعكس على كل مجالات الحياة وبشكل مؤثر جدا، غير ان الجانب التربوي كان أكثرها تأثراً؛ فقد جرف إعصار هذه التحولات نسبة كبيرة من الجيل الجديد بعيدا؛ فقلع الكثير منه – وخاصة المرأة – من جذوره الدينية، والاجتماعية، والثقافية، فصرنا وكأننا أمام واقع جديد ومجتمع جديد.

غير ان مجتمعنا ورغم التحول السريع، فان نسبة عالية منه مازالت ملتصقة بأحكام الدين والتقاليد الاجتماعية، كما ان بذور الدين والسلوكيات الحسنة مازالت مغروسة فيه، حتى في النشء الجديد الذي يمر بهذه التحولات.

● المرأة و موجة الاغتراب

بيد أن المشكلة تبدأ من نقطة الانفصام بين المرأة وبين واقعها الاجتماعي والديني بسبب سوء فهم او قراءات خاطئة لبعض المفاهيم، مما يجعلها أمام خطر الاغتراب الفكري والسلوكي يجعلها تنسلخ من جذورها الاسلامية وتبعدها عن أدوارها ومسؤولياتها الحقيقية، وتدفعها لاتباع ما اختطته الثقافة الغربية من ادوار مبتذلة وأنماط ثقافية منحطة.

إن مظاهر الاغتراب الفكري والسلوكي للمرأة تدعونا للتأمل كثيرا في هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة وتحليل أسبابها، والمتأمل فيها قد يعزوها لأسباب كثيرة منها:

١- ضعف الوعي الذي يأتي في مقدمة الأسباب، فأهم مشاكلنا هو الفراغ والخواء الفكري والثقافي الذي يجعلنا لا نميز بين الغثّ والسمين لعدم امتلاك الأسس والمعايير اللازمة للتمييز من جهة، وملء حيز الفكر الفارغ بكل ما هبّ ودبّ من جهة أخرى.

لقد فشلت كل المؤسسات المعنية عن غرس الوعي فشلاً ذريعاً في حل هذه المشكلة لعدم قيامها بدورها بشكل مطلوب، فالجميع أخفق في تحمل مسؤولياته، إذ تخلفت الدولة عن القيام بمهامها، وغابت مؤسسات المجتمع المدني، بل وحتى المؤسسة الدينية.

٢- الإعلام المُضلّل الذي اتخذته القوى الكبرى الوسيلة الجديدة للسيطرة على بلدان العالم الثالث، وتم هذا عبر توظيف خبراء في شتى العلوم وخاصة؛ علم النفس، حيث تخصص العديد من العلماء في هذا الجانب، في كيفية التأثير على عقول الآخرين بشتى الوسائل والأفكار، مما جعل هذه الوسائل تغزو عقول الصغار قبل الكبار، هذه الوسائل جعلت صغارنا معتقليها، ثم نجحت في تغذيتهم بكل ما يؤسس لاحترام وجهات النظر الغربية.

٣- غياب الوعي التربوي لدى الأبوين والمعنيين بأمر التعليم، من معلمين ومدرسين وأساتذة جامعات، وعدم التوصل الى منهج وأسلوب صحيح لتربية النشء الجديد، وبما أن عملية التربية والبناء الإنساني في ظل التطورات المتلاحقة، أصبحت عملية عميقة ومعقدة جدا، تتداخل فيها عدد من العلوم والاختصاصات، مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، والإعلام، والإدارة، والدين، وغيرها، فان الأنماط التربوية القديمة باتت غير مجدية، فصار لزاماً إعداد برامج سريعة ومكثفة لتعليم الوالدين أسس التربية، ووضع مناهج تفصيلية وبعيدة المدى تقسم على المراحل الدراسية، تحقق هدف التربية الأمثل، وتعلم النشء الجديد كيف يصبحون مربي المستقبل.

٤- اعتماد المرأة المغتربة، منهجٍ التطرف والتعصّب لدى البعض، معياراً لفهم الإسلام، والإسلام من هذا المنهج براء، كما ساعدت ظاهرة الإرهاب والتكفير، في تعزيز اغتراب المرأة؛ لما مارسته التنظيمات الدموية من أفعال همجية لا إنسانية.

٥- عدم إيضاح فلسفة كثير من التشريعات الخاصة بالمرأة، وبيان اهميتها ومنافعها للمرأة، خاصة والمجتمع عامة، مثل قيمومة الرجل على المرأة، وحصتها في الميراث، وتعدد الزوجات، مما جعل المرأة ترى ان هذه الأحكام، ومن ثمّ الإسلام، لم يعد صالحا لهذا الزمان؛ فأصبحت تبتعد عن الإسلام، ومن جهة أخرى فان تعطيل الأحكام الاسلامية المناصرة للمرأة، وعدم حرص الدولة على تطبيقها؛ جعل المرأة تغفل عنها ومن ثمّ تغفل عن عظمة الإسلام، وما يوفره لها من حماية وحصانة.

● قبل فوات الأوان

وهكذا وأمام هذه التحولات الخطيرة؛ صار لزاماً، أن نسارع لاغتنام فرصة

> الأسرة وان كانت الأساس الأول في التربية السليمة، إلا ان دور المجتمع بمؤسساته المتعددة، ذو تأثير كبير في إنجاح العملية التربوية

البذرة الصالحة في مشروع تربوي حقيقي مدروس ؛لتوفير الأجواء التربوية المناسبة لنمو تلك البذور في تربة المجتمع والأمة قبل فوات الأوان، فان للبذور وقتاً لا تنمو بعده. انه صراع خطير يتوجب علينا ان نحسن إدارته؛ وإلا عانينا طويلا واحتجنا الى جهود مضاعفة عشرات المرات للخروج مما نحن عليه اليوم.

واليوم علينا الاعتراف والإقرار، باننا لم نبذل جهداً حقيقياً في التعامل مع هذا الخطر والسيطرة عليه، فأصبحنا ننظر الى السيل يجرف فلذات أكبادنا، غير مهتمين لما يحدث، وكأننا لا نرى شيئا وإلا لكنا قد تحركنا باتجاه معرفة آليات التعامل ثم التعامل معه، وهذا ما لا نراه في الواقع.

• انشغال أم لا مبالاة؟!

منذ التحولات الأخيرة التي شهدتها دول المنطقة والعراق تحديدا، نجد ان الاهتمام منصب على جانبي السياسة والحرب، ونرى انهما الاطار الذي يؤطر كل الفعاليات والنشاطات، ورغم اعترافنا بالأهمية القصوى للاهتمام بكلا الأمرين، فان هناك ما هو أهم منهما وهو بناء وعي الانسان عموما والمرأة خصوصا؛ فهي قاعدتنا ومشروعنا التربوي الأهم. والسؤال الملحّ هنا:

أين هذا الجانب من الاهتمام؟ ألم يكن – حقاً – هناك حيز معقول للاهتمام به؟ وهل ان السياسة والحرب شغلتنا عن دور إعداد الجيل الجديد؟ أم إننا غير ملتفتين أصلاً للأمر؟! أم ملتفتون ولا نعرف كيفية التعامل مع هذه التحولات المتسارعة؟ أم إننا ملتفتون ولا نبالي؟!

• المؤسسة السياسية وانحلال المرأة

كرست العديد من الدول مثل اليابان، جهودها للاستثمار في الانسان، وأنفقت لأجل ذلك المبالغ الطائلة عبر برامج حكومية رسمية، وعبر منظمات مختلفة؛ اقتصادية وعلمية، وسياسية، واجتماعية، ومنظمات مجتمع مدني، وطبقت برامج للتنمية البشرية، كما اهتمت بأسس التربية والإرشاد؛ فحققت نتائج طيبة في التحول من حالة الانحلال الى حالة التماسك، لكن الغريب ان مجتمعاتنا المتماسكة تحولت الى الانحلال بشكل مذهل، والحكومات التي تمتلك كل السلطات والصلاحيات غير مهتمة لما يحدث، بل نلاحظها تؤسس لبرامج الانحلال في مؤسساتها الحكومية! ولنا في بعض برامج وزارة الثقافة والإعلام في عدد من الدول ومنها؛ العراق، خير شاهد على ذلك.

ان الحكومة مطالبة اليوم باتخاذ خطوات جدية وسريعة لتعديل المسار التربوي في البلاد بوضع استراتيجية شاملة لإصلاح وبناء المجتمع عموما والمرأة خصوصا، عبر الاستفادة من الخبرات الدينية والأكاديمية في هذا الاتجاه، وجعل المؤسسة الثقافية مؤسسة بناء ثقافي صالح وليست مؤسسة هدم او بناء طالح، ومتابعة الإعلام المنحرف ووضع مناهج مضادة له، ثم التأسيس لإعلام بناء، والسيطرة على كل مصادر الانحلال عبر الشبكة العالمية وغيرها، واستثمار هذه الشبكة في البناء الثقافي، وكذلك بناء وزارة تربية وتعليم حقيقية تقرن التربية بالتعليم، والتأسيس والتمويل لمراكز بحث ودراسات تربوية نابعة من واقع مجتمعنا لا من واقع المجتمعات الغربية. والتأسيس لكليات النفس التربوي والاجتماع المهتمة بدراسة الواقع والبناء عليه، لا تلك المستوردة للأفكار الجاهزة. والاهتمام بوزارة المرأة والمنظمات المدنية المهتمة بالمرأة. وإعطاء الاهتمام الكافي للسينما والمسرح، وتفعيله بالشكل الذي يسهم في عملية بناء المرأة والمجتمع.

• المؤسسة الدينية و لا عذر!

ان المؤسسة الدينية اليوم أمام مسؤولية لا عذر لها في عدم تحملها؛ إذ ان واجبها الشرعي، بناء الانسان عبر غرس القيم النبيلة فيه، وحمايته من الانحراف عبر التوجيه والإرشاد من خلال إعداد رجال الدين القادرين على تحمل أعباء المرحلة، والرقي الى مستوى التحديات؛ بإعادة هيكلة شاملة للمؤسسة الدراسية والإدارية والتبليغية بالشكل الذي يجعل منها المحرك والموجه الحقيقي للناس بما يحقق صلاحهم في الدنيا والآخرة، كما بمقدورها اليوم لعب دور ضاغط، وإجبار الساسة على اتخاذ خطوات جدية وإيجابية في مجال بناء الانسان، وبإمكانها التأثير على منهجية وزارة الثقافة والإعلام، والتربية والتعليم، والتعليم العالي وكذلك الأوقاف. وكل الأمور الخاصة ببناء الانسان، مما يجب ان تتولاها الأيادي الأمينة، حتى لا تذهب الجهود والأموال لإقامة المهرجانات الاستعراضية والحفلات الغنائية الهابطة.

• قانون حماية المرأة و وجهة نظر!

تتضمن قوانين الدول حماية المرأة من العنف الأسري، وهذا يعني سن عقوبات رادعة للرجل الذي يعتدي على المرأة. بيد أن السؤال المهم: ألم ينشأ هذا الرجل ويتربى على يد المرأة اساسا؟ ألم تكن تصرفاته وسلوكياته نتاج تربية حصل على جزئها الأكبر من المرأة (الأم)؟ إذن؛ فان المرأة تتحمل مسؤولية كبيرة في نشوء ظاهرة العنف الأسري، وهذا مؤشر قوي على ان هناك حالة قصور شديد في القيام بمسؤولياتها التربوية. ان قانون حماية المرأة من العنف الأسري حالياً، إنما يعاقب من أفسدته التربية، ولا يعدو كونه ردة فعل لا غير، ولو استطعنا ان نوفر التربية

ان الحكومة مطالبة اليوم باتخاذ خطوات جدية وسريعة لتعديل المسار التربوي في البلاد بوضع استراتيجية شاملة لإصلاح وبناء المجتمع عموما والمرأة خصوصا

ان الأسرة هي الملاذ والحصن الذي يقوم بدوره في إنقاذ الأبناء وخاصة المرأة من موجات الفكر المنحرف

الصحيحة، لانحسر العنف ضد المرأة الى ابعد الحدود.

• انستبدلن الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

واذا كانت المرأة الباحثة عن حقوقها جادة في البحث عن حق متميز وحصة اكبر، فان لها في شريعة الإسلام افضل ما تحصل عليه، فالإسلام قد كرم المرأة تكريما عظيما، ورسم لها السبل السليمة للقيام بدورها، ومنحها عرش الترف في الأسرة، فكلنا يعلم ان رابطة الزواج هي رابطة نكاح لا رابطة خدمة كما تسري العادة عليه اليوم، والإسلام لم يوجب على المرأة حتى رضع وليدها مجاناً، وأعطاها الحق في اخذ الأجرة، كما ان كل مسؤوليات البيت وكل أعماله ليست واجبة على المرأة، كما نفعل اليوم، ولا كما يجعلها النظام الغربي مناصفة بين الرجل والمرأة، ولعلنا نجد في هذا فارقا كبيرا بين حق المرأة في الإسلام وحق المرأة في الغرب. وفارق آخر كبير وهو ان الزوجة غير مكلفة بالكسب المادي وان واجب الرجل الإنفاق عليها، وتوفير كل متطلباتها الحياتية، فأين كل هذا من النظام الغربي الذي يوجب على الزوجة العمل مثلها مثل الزوج لتوفير متطلبات الحياة؟!

بهذه الصورة المختصرة نفهم بوصلة المرأة توجهت بالاتجاه الخاطئ في اطار المطالبة بحقوقها؛ حينما تأخذ من الغرب مقياسا لهذه الحقوق، في حين ان مصلحتها تكمن في توجيه البوصلة نحو حقوق المرأة الحقيقية التي بشّر بها الإسلام.

• منظمة الحقوق الاسلامية للمرأة

وهكذا وما دام الإسلام يعطي المرأة كل هذا الاحترام والتكريم غير المسبوق، فما الذي يمنع أهل المسؤولية من التأسيس والدعم لمنظمات تطالب بالحقوق المشروعة للمرأة وفق ضوابط الشرع؟ ومن ثم تدعمها وتناصرها بدلا من ان يأتي لنا الغرب بمنظماته ويطالب بأمور يدعيها حقوقا للمرأة، ورغم ان بعضها هي حق فعلاً، إلا ان فيها ما يهدم كيان المجتمع، وتكون بوابة للاغتراب الفكري والسلوكي للمرأة، وبداية الانفصال عن سلوكيات وتعاليم الدين الحنيف.

• حصننا الأخير

والآن؛ وبعد ان انهارت كل السدود أمام تحديات هذه التحولات، وأمام حالة العجز تارة، واللامبالاة تارة أخرى من قبل المعنيين بمواجهة هذا التحدي؛ صار لزاما على الأسرة وخاصة المرأة ان تتحمل مسؤولياتها عبر سيطرة الوالدين، وخاصة الأم على عملية التغذية الثقافية للأطفال، وخاصة البنات، من خلال تحديد قنوات التلقي الثقافي عبر التلفاز والأنترنت، وحمايتهم من كل ضار، وتركيز اهتمامهم على المفيد منها، والاهتمام بتعلم أساليب التربية بقراءة الكتب الخاصة بذلك، وتأسيس منظمات غير رسمية لهذا الشأن، وعقد ندوات ولقاءات بين الأمهات، وكذلك بين الآباء للتدارس في أسس التربية والتواصل مع المؤسسة الدينية في هذا الاطار. ان الأسرة هي الملاذ الأخير وهي الحصن الأخير الذي نأمل ان يقوم بدوره في انقاذ الأبناء وخاصة المرأة من موجات الفكر المنحرف من جهة والاستفادة من هذه الوسائل فيما ينفعهم من جهة أخرى.

• ضرورة البناء المتكامل للمرأة

ان حالة التطور السريع التي تمر بها البشرية اليوم القت بظلالها على متطلبات التربية؛ فهي من جانب جعلت السيطرة على القنوات التي تسهم في تشكل الوعي عموما والتربية خصوصا، أمراً صعباً جدا، كما ان هذا التطور فرض على النشء الجديد نمطا جديدا من الثقافة ؛ مما فرض على المربي ان يساير هذا التطور وان يكون بمستواه؛ وذلك بتعلم طرائق التربية التي تناسب هذا التطور.

وأمام هذه الصعوبة والتعقيد، نحن بحاجة الى توجيه المرأة نحو مناهج تربوية مركزة، وعالية المستوى؛ بداية بمرحلة الحمل بها جنينا في بطن أمها، ومروراً بالتعامل معها رضيعة وما يعقب ذلك من فترة الحضانة، ثم رياض الأطفال، ثم مرحلة المدرسة، فمرحلة المراهقة والشباب، وحتى مرحلة تأسيس الأسرة، ومن جانب آخر؛ نحن بحاجة الى تأسيس مراكز الدراسات والتأهيل للمرأة صاحبة المسؤولية والدور الفاعل في المجتمع.

إنها منظومة متكاملة يتعاون فيها الجميع من اجل التربية، فالأسرة وان كانت الأساس الاول في التربية السليمة، الا ان دور المجتمع بمؤسساته المتعددة، ذو تأثير كبير في إنجاح العملية التربوية، وهذا يتطلب جهداً عالي المستوى من قبل الجميع.

وهكذا اصبح لزاما على القائمين على المجتمع إدارة هذا الصراع بوسائل وطرق جديدة منها:

أولاً: شمول قوانين محاكم الأحوال الشخصية لقوانين حماية المرأة بالمفهوم الإسلامي، والترويج له على نطاق واسع وتطبيقه؛ لترى المرأة أهمية تطبيق الإسلام، وأهمية التصاقها بالإسلام كدين يوفر لها الصلاح ويحمي مصالحها.

ثانيا: تأسيس منظمات مدنية إسلامية تطالب بحقوق المرأة إسلاميا ودعمها والترويج لها؛ لتحمل راية الدفاع عن حقوق المرأة.

ثالثا: غرس هذه المفاهيم وإيضاحها في المناهج التربوية الدراسية للبنات، بدل التأكيد على نظام حقوق الانسان الغربي والتركيز عليه وتهميش إنجازات الإسلام في هذا الاتجاه.

القدوة الناجحة ودورها في سعادة الأسرة

• الشيخ ماجد الطرفي

القدوة هي التأثر بشخصية معينة ومتابعتها وتقليدها والتأسي بها، ولاسيما القدوة الحسنة التي هي العنصر المهم في المجتمع، والإنسان بأمس الحاجة لرؤية القدوات مهما كان أفراده صالحين كما قال رسول الله، صلى الله عليه وآله: «جالسوا من تذكّركم بالله رؤيتُهم»، كيف لا وقد أمر اللهُ نبيّه ، صلى الله عليه وآله، بالاقتداء فقال: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾، (سورة الأنعام: ٩٠).

إذ إن القُدوة والقِدوة هي الأُسْوة، كما يقال: فلان قدوة يقتدى به، والأُسْوَةُ والإِسْوَةُ هي القُدْوة، كما يقال: والقوم أُسْوةٌ في هذا الأمر أي حالُهم فيه واحدة؛ أي: الحال التي يكونُ الإنسانُ عليها في اتِّباع غَيْره إنْ حَسَناً وإن قَبيحاً وإن سارّاً أو ضارّاً، مِثْل القُدْوَة في كوْنِها مَصْدراً بمعْنَى الإئتِسَاء، واسْماً بمعْنَى ما يُؤْتَسَى به، وكَذلكَ القُدْوَة؛ يقالُ لي في فلانٍ أُسْوةٌ أي قُدْوَةٌ؛ ويقال ائتَسِ به أي اقتدَ به وكُنْ مثله، وفلان يَأْتَسِي بفلان أَي يرضى لنفسه ما رضيه ويَقْتَدِي به وكان في مثل حاله؛ وإنما هناك فارق بسيط من جهة المصاديق من كون أن القدوة هي الاقتداء بصفات الآخرين من حيث القوة والشجاعة والكرم وغير ذلك، أما الأسوة هي التأسي بشخصية الإنسان نفسه كما هو التأسي برسول الله، صلى الله عليه وآله.

• التمييز بين القدوة الحسنة والقدوة السيئة

ميل الإنسان بفطرته إلى الاقتداء والتأسي يدفعه لأن يتخذ له أسوة يقتدي بها، فإن لم تكن حسنة فسيئة، وإن لم تكن صالحة ففاسدة، هذا هو من البديهيات، ولكن المهم كيف تختار هذه القدوة الحسنة وتميزها عن القدوة السيئة؛ والكارثة تكمن في الاختلاط بينهما ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾، (سورة الكهف: ١٠٤).

لكل إنسان توجهات مختلفة في تحديد مسار حياته، وهذا بدوره مقرون بما يحب وما يكره، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾، (سورة البقرة: ١٦٥)، لذلك نلاحظ بعض الناس توجهاتهم إلحادية، يتخذون لينين مثلاً قدوة لهم، والبعض الآخر توجههم علماني وهكذا.

أكثر الفئات التي تحتاج إلى معرفة طريقة اختيار القدوة الحسنة هم الأطفال، فعندما يقوم المربون بتعليمهم طريقة اختيار القدوة الحسنة منذ الصغر، إذ كثيراً ما نلاحظ أن الإنسان يكتسب خبراته ومهاراته بالتقليد والمحاكاة، كالطفل يحاكي أباه ويتقمص شخصيته، كون أن التعلم بالرؤية والمشاهدة أسهل وأيسر وأسرع، لأنه من طبيعة الإنسان يحب الحصول على الشيء بأسهل الطرق وأسرعها وإن كان محرماً، ولكن جاء الشارع المقدس لينظمها.

هنا تكمن خطورة الموضوع؛ كون أن القدوة الحسنة لها بريقها ولمعانها الذاتي فتنجذب إليها النفوس وتتأثر بها إجابياً، والكلام فيما لو كانت سيئة؛ لاحظ أنها تزخرفت وتزينت بالأصباغ والألوان اللامعة الخداعة، فهناك من يقع في حبالها وشراكها، فتكون الطامة الكبرى.

• حاجة المرأة إلى القدوة الصالحة

لأجل ذلك اشتدت الحاجة إلى القدوة، بسبب ابتعاد الناس عن الإلتزام بقيم السماء وأحكامه، والابتعاد عن التطلعات الثقافية الأخرى لتفتح ذهنه كي يحمي نفسه من خطر القدوة السيئة، وخصوصاً من جانب المرأة بوصفها نصف المجتمع، وكونها الأم المربية والمعلمة في المدرسة والأخت والزوجة وغير ذلك من المكانة التي تحتلها في المجتمع؛ لذا يجب العناية بها منذ صغرها لكي تكون القدوة المثالية التي يقتدى بها، كما يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها *** أعددت

إن المرأة المعاصرة لاسيما المسلمة، بأمس الحاجة إلى القدوة الصالحة، في رعاية الأسرة وتربية الأولاد

شعبا طيب الأعراق

فمن الضروري أن نسلط الضوء على المرأة، كونها محل تأمل ونظر لمكانتها السامية التي رسمها لها الشارع المقدس، وإنها أساس الأسرة؛ أصبحت خطورة هذه القضية اليوم أكثر من أي وقت مضى، خاصة لو أخذنا بنظر الاعتبار العولمة وأدواتها التي ظهرت في الأزمنة الأخيرة والثقافات الغربية المزيفة.

فعلى المرأة المسلمة ان تسعى في طريق الحكمة والعلم وفي طريق بناء الذات معنويا وأخلاقياً، وان تكون في الطليعة في ميدان الجهاد والكفاح، وأن لا تهتم بزخارف الدنيا وزبرجها، وأن تكون في البيت سكينة للزوج والأولاد، والأم المثالية لمجتمع ناجح، والأفضل لها ان تتأسى وتقتدي بالسيدة الزهراء، عليها السلام، والتي تتمثل بها في جميع شؤون الحياة من إرشادها للمسلمين وتوعيتهم ورعايتها للحجاب ومدافعتها عن الدين، وهذا ليس بالأمر العادي فهي الأم التي ربت رجالا للشهادة دفاعاً عن الدين والوطن.

• الزهراء عليها السلام النموذج الصالح والقدوة الحسنة

وكل ما تفعله النساء في زماننا يبقى قليلا أمام القدوة وتجلي العظمة الالهية التي أعدها رسول الله، صلى الله عليه وآله، وإشرافه على توجيهها وفقاً لما تقتضيه إرادة الله – تعالى –، فأصبحت في مبادئها وأخلاقها كما لو كانت رسالة الله تمشي على الأرض، فهي تجسيد حي وعملي لكلّ ما يريده الله – تعالى –؛ لذا احتلّت أرفع موقع في دنيا النساء إلى قيام الساعة، فهي بمكانتها المرموقة أخذت مكانتها الطبيعية كقدوة وأسوة للأمة المسلمة بكلّ أجيالها.

فعلى من يريد أن يسلك طريق الهداية والاستقامة والفضل في الدنيا والسعادة الآخرة فإن الزهراء، عليها السلام، أعظم قدوة لكل الأجيال، وبمقدور كلّ امرأة أو رجل أن يتعلّموا منها، عليها السلام، دروساً في مكارم الأخلاق والفضيلة.

من الممكن لكل امرأة أن تطلع على سيرتها المباركة والاقتداء بما قدمته للدين والإنسانية في صورة جميلة، ليتسنى لها أن ترسم لنفسها أجمل الصورة الحقيقية للسيدة العظيمة، لتكون هي القدوة لنساء العالم أجمع، ليتعرفنَ على هذه الشخصية الإلهية العظيمة التي رسمت صورة المرأة المسلمة الحقيقية.

وهناك نماذج عالمية من النساء اللاتي تأثرنَ بالزهراء، عليها السلام، كما في سيدة يابانية – في قضية طريفة لا مجال لتفاصيلها الآن –، اطلعت على حياة فاطمة الزهراء، عليها السلام، فتأثرت بها وقالت: «هذا هو النموذج الذي كنت أبحث عنه»، ثم أعلنت إسلامها، وما خفيَ من أشباه هذه القصص كان أعظم.

• الوصول إلى القدوة الحسنة

ينبغي على المسلمُ أن يكون هو القدوة عن الإسلام؛ لعله يكون سببًا في هداية الكثير من الناس الى الهدى ودين الحق كما حصل على يد الكثير من المؤمنين والمؤمنات من أهل الطاعة؛ من أجل ذلك ينبغي على الناس أن يكونوا قدوة لأهل المعاصي ليكونوا سبب لهدايتهم؛ من خلال ظهور أثر الطاعة وثمارها كالأمن النفسي وإثبات قوة الإرادة. كالمدرس قدوة لطلابه، والأب لأبنائه، والحاكم لشعبه، والرئيس لمرؤوسيه، والداعية لمن يدعونه وغير ذلك، كما في قول رسول الله، صلى الله عليه وآله: « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»

فكل هؤلاء الأصناف وغيرهم، لا خيار لهم إلا أن يكونوا قدوات صالحة؛ لأنهم تحت المجهر والمراقبة شاءوا أم أبَوا، فهل يكونون أهلاً للتحدي؟! وهل يستشعرون مسؤولياتهم؟! وهل يحسبون خطواتهم؟!

فلأجل الوصول إلى القدوة الحسنة نقول:

١– الاستقامةُ على المنهج الإلهي؛ من أجل سلامة المعتقد، والتوصل إلى ما يرضي الله تعالى، وأداء الفرائض والتخلق بأخلاق الإسلام واجتناب الكبائر.

٢– موافقةُ الأفعال للأقوال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾، (سورة الصف: ٢، ٣).

٣– الابتعاد عن مواطنِ الشبهات؛ من خلال التمسك بمنهج أهل البيت، عليهم السلام.

٤– الاطلاع على جميع الأفكار والثقافات الاسلامية وغيرها، لمعرفة الخطأ من الصواب.

٥– مطالعة التاريخ وسيرة المعصومين، عليهم السلام، وفي مقدمتها الصديقة الزهراء، عليها السلام، لمعرفة سيرتهم والاقتداء بها.

٦– الصبر على المصائب والتوجه بها إلى الله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، (سورة الأحقاف: ٣٥).

يجب أن تعلم أنك مهما حرصت على أن تصل إلى حد الكمال في الاقتداء والتأسي، فأنت بشر تصيب وتخطيء وعملُك ليس حجة على الإسلام، بل الحجة قال الله تعالى وقال رسوله، صلى الله عليه وآله، وقال الأئمة الأطهار، عليهم السلام، فالتمس منهم لأخيك العذر عند التقصير، وإذا أبيتَ إلا اللوم فلُم نفسك أولاً، فقد قال الله تعالى: ﴿بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾، (سورة القيامة: ١٤، ١٥).

المنهج التربوي الإسلامي ودوره في الحد من العنف الأسري

● الشيخ حيدر الشمري

تُعد العلاقة الزوجية والأسرة، وقد عرف البعض الأسرة على أنها مجموعة من الضوابط والأحكام التي تحدد سلوكية وعلاقات أبناء الأسرة أو المنتمي لها، إذ الأسرة عبارة عن مؤسسة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط إجتماعية وأخلاقية وروحية وهي التي تميز الاسرة البشرية عن الأسرة الحيوانية.[١]

وهناك العديد من المجتمعات الاولى في حياة الانسان ومنها الأسرة، والتي لها في نظر الشارع المقدس أهمية كبرى، إذ الإسلام يشكل النظم التربوية والعلمية والأخلاقية، والقواعد الأساسية التي ترتكز عليها الأسرة في ميادينها التربوية، لأن التربية ضرورة حتمية لتحقيق الاسلام، وكما من واجبات رب الاسرة (المؤمن) السعي لصلاح نفسه، فكذلك من واجباته السعي لصلاح جميع افراد الاسرة بل هي من اولى أولوياته[٢].

والعلاقات الاسرية هي من أهم العلاقات الإنسانية في هذه الحياة، إذ يترتب عليها بناء المجتمع، أو انهياره، وتقدم البشر، أو تخلفهم، فإذا استقرت العلاقات الزوجية على اسس متينة، إستقر المجتمع كله، وإذا إنهارت تعرض المجتمع وربما لأجيال متعاقبة لأخطار حقيقية، إذ إنَّ بناء العلاقات الزوجية هو أكثر من مجرد إرتباط الرجل بالمرأة بعقد شرعي، ولابد من جهد يبذله الطرفان يومياً بالإضافة الى عمل دؤوب لتجنب العوامل التي من شأنها تخريب هذه العلاقات، ومن ذلك نعرف دور الوعي والثقافة الاسرية الرصينة في بناء هذه العلاقة، ومنع انهيارها[٣].

وليس هناك من فرق واضح في مفهوم الاسرة بين الماضي وبين الحاضر فهي ذاتها المنظومة الاجتماعية التي تتشكل من الزوج والزوجة، ولا تتشكل الا باشتراكهما في شراكة عقدية تستمر ضمن الاطر والقواعد المتعارف عليها، بيد ان ما يختلف عنه اليوم هو السلوك الاسري الذي يتخذ مسارات تختلف كثيراً أو قليلاً عما كان عليه بالأمس.

والعلاقة الاسرية انما تستمد قوتها من الاحترام المتبادل بين اطرافها سواء كانت العلاقة بين الزوج او الزوجة وعلاقة التعاطف والمودة بين الأصول والفروع والعرف الاجتماعي السائد.

● العنف الأسري الظاهرة والأسباب

تعد ظاهرة العنف من الظواهر العامة المنتشرة في جميع انحاء العالم، والتي حظيت بإهتمام الكثير من الباحثين والدارسين لمعرفة الاسباب التي تؤدي الى انتشار هذه الظاهرة للعمل على الحد منها او تقليلها، وقد تضمنت الدساتير واللوائح القانونية في أغلب دول العالم قوانين تتعلق بظاهرة العنف.

وإحدى صور هذه الظاهرة بل الأكثر شيوعاً هو العنف الاسري، ولا يقتصر العنف على المراة فقط بل قد يتعدى الى جميع أفراد العائلة، ففي الكثير من الحالات نجد صدور العنف من الاباء تجاء الزوجة وكذلك الابناء، وتنتشر هذه الظاهرة بصورة ملحوظة في المجتمعات الذكورية والتي يتم الاهتمام فيها بالذكر سواء كان أباً أم زوجاً بل وحتى أخاً،إذ يقدم الذكر على الانثى وغالباً ما يكون هو المالك لرأيها. وتتعدد مظاهر سيطرة الرجل على المراة حتى تصل مصادرة قرارها من اكثر الامور تعقيداً وخصوصية الى ابسطها والأمثلة كثيرة.

وقد صدرت الكثير من النصوص الدينية الرادعة للعنف الاسري والتي أكدت على إشاعة روح الحب والتسامح والمودة بين الأفراد من جهة، ومن جهة أخرى مبينة أن علاقة الوالدين بأبنائهم هي مسؤوليةٌ ويترتب عليها الكثير من الواجبات أكثر مما هي تشريفية، فمرة عدَّ القران الكريم الزوج والزوجة بمثابة السكن لبعضهما البعض ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (سورة الروم:٢١)، وقال الإمام علي، عليه السلام: «وأما حق زوجتك، فأنْ تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكناً وانساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عز وجل عليك، فتكرمها، وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب، فإنَّ لها عليك ان ترحمها، لأنها أسيرتك، وتطعمها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها».[٤]

ولابد من أن يعرف الزوج والزوجة أن لهما حقوق وعليهما واجبات تجاه الطرف الآخر، إذ ليس من الصحيح أن نؤكد على حقوق الزوجة فقط ونتجاهل حقوق الزوج؛ لأنَّ هذا النوع من الطرح يوحي للمرأة بأنها صاحبت حق مسلوب وليس عليها واجبات تجاه زوجها وكذلك تجاه اولادها، والتي كانت وراء الكثير من حالات الطلاق لعدم أداء الزوجة لمهامها في الحياة الاسرية، ومن ثم نؤكد على واجبات الزوجة تجاه زوجته وأولاده لمنع حالات العنف الاسري، فعن الإمام الصادق، عليه السلام: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته...، وقد رد على من ساله ماحق المراة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: يشبعها ويكسوها، وإن جهلت غفر لها» وكذا في الحديث النبوي الشريف: «أنَّ من حق المرأة على الرجل أن يغفر لها إذا جهلت».[٥]

إذ من حق المراة على زوجها أن يحترمها، وعدم إهانتها بالقول والفعل وعدم ضربها أو إيذائها، وأن لا يقبح لها وجهاً، كما ورد في الحديث الشريف: «يسد جوعتها، ويستر عورتها، ولا يقبح لها وجهاً»، وورد في حديث آخر: «ألا وإن الله ورسوله بريئان ممن أضر بامرأة حتى تختلع منه».[٦]

وأما فيما يخص الاولاد، فإنه من الواضح أن الاولاد ليسوا مخلوقات للرجل حتى تكون تصرفاته معهم تصرفات الخالق والمخلوق لا تخضع للحدود والمقاييس، إذ الاولاد «أمانة» و«فتنة»، ومسؤولية الزوج تجاههم تتلخص في: ضرورة رعايتهم قبل الولادة بتهيئة الظروف الخاصة بهم، ويختار الاسم المناسب لهم، وأن يحسن تعليمهم، وتربيتهم، وأن يزوجهم إذا بلغوا.

ونحن نعتقد أن من الضروري إشاعة هذه التعاليم السماوية بين الناس حتى تكون وسيلة فاعلة للتغيير السلوكي عند الكثير من الازواج الذين لا يعطون الزوجة أو الزوج أو الاولاد حقوقهم، لأن المرأة التي تتعرض للعنف تفقد الإحساس بالأمن والكرامة وتقدير الذات، وهذا ليس قاصراً على العنف الجسدي فالعنف النفسي أسوأ كثيرا من العنف الجسدي كما ذكرت النساء اللاتي تعرضن للعنف. ولا تقتصر آثار العنف على الزوجة التي تتعرض له ولكنه يمتد ليشمل الأبناء. فالعنف الأسري ينتج جيلاً يعاني من الأمراض النفسية كالاكتئاب والقلق والانطواء وعدم الثقة في النفس وغيرها من المشاكل التي تؤدي في أغلب الأحيان إلى محاولات الانتحار، بالإضافة إلى تدني القدرات الذهنية واضطراب المستوى التعليمي للطفل وعدم قدرته على التواصل مع الآخرين. كما أن الشخص ضحية العنف (الزوجة والأبناء) قد يعاني من العقد النفسية التي قد تتطور وتتفاقم إلى سلوكيات عدائية أو إجرامية، كما قد يمارس أيضاً العنف الذي مورس في حقه مما يؤدي لاستمرار الظاهرة. وقد ينتج عن العنف الأسري تفكك الروابط الأسرية وانعدام الثقة بين أفراد الأسرة وتلاشي الإحساس بالأمان؛ ولأن الأسرة هي أساس المجتمع ومصدر قوته فالعنف الأسري يهدد كيان المجتمع بأسره وهو أكثر تأثيراً على المجتمعات من الحروب والأوبئة الصحية لأنه ينخر في أساس المجتمع فيهده أو يضعفه.

إن العلاقات بين أفراد الأسرة هي من العلاقات الإنسانية في الحياة التي يترتب عليها بناء المجتمع، وتقدمه

وعن اسباب العنف الاسري يرى بعض الباحثين انَّ هناك العديد من الاسباب وراء العنف الأسري منها، منها:

١- ظروف المعيشة الصعبة كالفقر والبطالة والضغط النفسي والإحباط المتولد من طبيعة الحياة العصرية اليومية.

٢- سوء التربية والنشأة في بيئة عنيفة في تعاملها فالأفراد الذين يكونون ضحية للعنف في صغرهم، يُمارسونه على أفراد أسرهم في المستقبل فالعنف سلوكٌ مكتسبٌ يتعلمه الفرد خلال نشأته.

٣- تعاطي الزوج للكحول والمخدرات.

ومن المؤكد أنَّ اضطراب العلاقة بين الزوجين تأتي نتيجة ضعف الوازع الديني والأخلاقي وعدم الانسجام بين الزوجين في مختلف جوانب الحياة التربوية والتعليمية والاجتماعية والفكرية والبيئية مما يؤدي إلى غياب ثقافة الحوار والتشاور داخل الأسرة، يضاف اليها الفهم الخاطئ للدين والعادات والتقاليد التي تركز على قيادة الرجل لأسرته بالعنف والقوة.

وفي الختام نحن نعتقد ان اشاعة المناهج التربوية الاسلامية هو الكفيل بالحد من الكثير من مظاهر السلوك المنحرف، والتي منها ظاهرة العنف الاسري بدلاً من وضع القوانين التي لا تتوافق مع مجتمعاتنا والتي تسهم في التقليل من الاحترام المتبادل بين أفراد الاسرة، وإشاعة فكرة إتهام الزوج لأي سبب كان.

١- علم الاجتماع والفلسفة/ مجموعة باحثين/ ط٤/ بغداد

٢- عبد العظيم نصر المشيخص/ الانحرافات الإجتماعية مشكلات وحلول

٣- السيد هادي المدرسي/ الاسرة في زمن العولمة/ دار الجوادين.

٤- السيد هادي المدرسي/ كيف تسعد حياتك الزوجية/ ص ٥٨.

٥- الشيخ فاضل الصفار/ فقه الأسرة/ ص٢٥.

٦- المصدر السابق/ ص ٢٥٣.

حوارات حول القرآن الكريم (٣٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾

حوار حول سورة الفجر - القسم الثاني

(من الآية السادسة حتى الآية الثالثة عشرة)

تمهيد

في العدد الماضي، توقف الحوار القرآني عند قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾، وتناول - في ما تناوله - معاني ومدلولات كلمات القَسَم التي اقسم بها الله تعالى، وعرفنا أن القَسَمَ يهدف استثارة القلب، وقد جاءت تلك الكلمات مجملة وليست تفصيلية لزيادة حالة التهويل والتعظيم.

وفي هذا العدد، نكمل ذلك الحوار، ونبدأ بالتساؤل عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، لماذا جاء بهذه الشواهد؛ رغم أن القَسَم الذي أورده في الآيات السابقة كان كافيا لمعرفة الحقائق؟

- إذا كنت ممن يكتفي بالقَسَم ويكتشف الحقائق بعقله بعد أن يُذَكّرَ بها؛ فقد جاءك ما يكفي من القَسَم؛ إلا أن البعض لا يعي الحقائق إلا بالمزيد من الشواهد، وبالذات العِبَر التاريخية التي تهز الضمير هزا، وحتى ذوي العقول اذا استمعوا الى تلك العبر ازدادوا يقينا؛ وهكذا ساق القرآن طائفة من تلك العبر، وأجملها؛ لأنه كان قد فصلها في مواضع أخرى من القرآن الكريم وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

إنها حقائق مشهودة، تُرى بالعين المجردة، وكلما كانت الحقيقة واضحة، استُخدم مثل هذا التعبير (أَلَمْ تَرَ)؟

• إعداد: جواد السيد سجاد الرضوي

• هؤلاء هم «عاد»

• من هم عاد؟ هل هم «عاد» الأولى من قبيلة «إرم»؟ أم الذين سكنوا قرية «إرم» فبنوا القصور العالية؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾؟ ولمَ وصفهم بقوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾؟

– قال بعضهم: «إرم» جد عاد[1]، وقال آخر: إليه يجتمع نسب قبيلة «ثمود» ايضا، وقال ثالث: إن معنى «إرم» القديمة، وأصلها من الرميم حيث أن هناك عادَين؛ الأولى وهي القديمة التي قال عنها ربنا: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى﴾، (سورة النجم: ٥٠)؛ وقال بعضهم: إن الكلمة ليست اسم أشخاص؛ بل منطقة كان يسكنها قوم عاد، ولا يتنافى أن يكون الاسم مشتركا بين القبيلة وأرضهم حيث كانت العادة تقضي تسمية الارض باسم أهلها؛

• ذوو العقول إذا استمعوا الى العبر التاريخية ازدادوا يقينا

فتكون كلمة ذات صفة لـ «ارم»؛ تلك المدينة التي سكنتها عاد. وكلمة العماد بمعنى الأبنية المرتفعة المرفوعة على العمد؛ ولذلك قالت العرب: فلان طويل العماد اذا كان منزله مَعْلَمًا لزائره.

تلك القبيلة الشديدة التي راجت حولها الأساطير، وتلك المدينة ذات العمد التي لم يكن لها مثيل في بلاد العالم ذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾؛ الم تر كيف دُمرت عليهم؟

• أين المفر؟

• لماذا جابوا الصخور؟ وأي واد قصد في قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾

– إنما يبني الانسان المدن لصيانة نفسه من أهوال محتملة؛ من اعتداء مفاجئ، مثلا، او سيل منهمر، او زلازل وانهيارات أرضية، او ما أشبه، والذي يدفعه الى ذلك كله تهربه من الموت ومن عاقبة أعماله؛ ولكن تلك الجهود تنفعه مالم يأت قدره؛ فاذا جاء القدر فأين المفر؟

إن المدينة، وبالذات اذا كانت بمستوى مدن «عاد» العظيمة، علامة بارزة لحضارة الانسان حتى سميت الحضارة بالمدنية؛ لأنها رمز تعاون بناء بين مجاميع كبيرة من الناس، وسيادة نوع متقدم من القوانين عليهم؛ كما أنها تأتي نتيجة تراكم تجارب وجهود عظيمة يتوارثها أهلها جيلا بعد جيل؛ ولكنها عرضة للدمار الشامل اذا تسلط عليها المترفون، ووجهوها عكس مسيرة الخير والفضيلة، واتخذوها وسيلة للبطش بالآخرين؛ كما فعلت «عاد»؛ فدمرها الله شر تدمير؛ فأين «الأحقاف»[2] التي كانت مساكنهم بين اليمن وحضرموت؟ وأين قبورهم وآثارهم؟

كذلك «ثمود» الذين سكنوا شمالي الجزيرة العربية بين المدينة والشام؛ فشيدوا لأنفسهم القصور التي اقتطعوها من الجبال المحيطة، وحفروها – أيضا – ملاجئ ومخازن لهم؛ إن مصيرهم كان ايضا الدمار ﴿و﴾ ألم تر كيف فعل ربك بـ ﴿ثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾

جابوا؛ أي: قطعوا، ويقال: يجوب

• تتعرض الحضارة للدمار الشامل اذا تسلط عليها المترفون

البلاد؛ أي: يقطعها، والوادي: المسير بين الجبال.

• فرعون وأوتاده

• لماذا انتقل من داخل الجزيرة العربية الى العالم الخارجي والى فرعون كما قال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾؟ وما المراد بالأوتاد؟

– كانت «عاد» و«ثمود» وقصة إبادتهم معروفة عند العرب في الجزيرة؛ لأنهما كانتا في طرفي الجزيرة؛ أما آل فرعون فقد كانت قصتهم مشهورة عند الأمم؛ لأنها كانت ذات صبغة عالمية، وقد سمعتها العرب من أهل الكتاب الذين اتصلوا بهم، وقد فصلها القرآن تفصيلا في موارد كثيرة، واجملها هنا بكلمات؛ فقال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾.

قالوا: أوتاده أركان سلطته من جنود وعساكر وأموال وأساليب قهر وسلطان، وقال بعضهم: بل كان يعذب الناس بالأوتاد حيث يشدهم بها الى أن يموتوا؛ وهكذا فعل بآسية؛ زوجته وماشطة ابنته، وقال بعضهم: بل الأهرامات التي تشبه الوتد في الأرض. وأنى كان؛ فقد زعم فرعون ان تلك الأوتاد تنقذه من مصيره.

• المؤمن لا يطغى

• ما الذي جعل فرعون يطغى كما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾؟ وهل هو اسم لفرد أو لسلالة؟

– يبدو أن المراد بفرعون هم آل فرعون، او هو وأوتاده الذين أيدوه؛ فلذلك قال عنهم ربنا سبحانه: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ بصيغة الجمع.

ذلك أن للإنسان قدرة محدودة لتحمل ضغوط التملك؛ فمن الناس من تُبْطره نعمة تافهة، ومنهم من إذا امتلك الدنيا يظل قادرا على التصرف بحكمة ورشد؛ وإنما يرتفع الى مستوى ضبط النعم وعدم الوقوع في أسرها والاسترسال مع رياحها اذا كان مؤمنا بالله وباليوم الآخر.

وآل فرعون أبطرتهم النعمة؛ فلما رأوا النيل يجري في بلادهم بالخيرات، وقد دانت لهم الشعوب المستضعفة من حولهم، وقد عرفوا بعض العلوم الجديدة في فن العمارة، والزراعة، وتحنيط الأموات؛ وما أشبه، فاستكبروا في الأرض، وطغوا.

• النهاية المدمرة

• كيف نشروا الفساد كما قال تعالى: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾؟ ويبدو أن نهايتهم كانت واحدة لقوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾؛ أليس كذلك؟

– لقد ركب كلّ من «عاد»، و«ثمود»، و«فرعون» مطية الطغيان الجامحة، وأسكتوا الأصوات المعارضة، وتسلحوا بمنطق القوة، واتبعوا نهج الدجل والتضليل.

وأصبحت السلطة مركزا لكل فاسد مفسد، وكل منافق متملق، وكل قوّال كذّاب محب لنفسه، وكل معقد من الناس.

وبدأوا رحلة النهاية إذ أخذت السلطة تنشر الفساد في الأرض بدل الصلاح، والظلم بدل العدالة: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾.

حتى اذا طفح بهم كيل الفساد، وجاءهم النذير فهمُّوا به ليقتلوه؛ هنالك نزل عليهم العذاب الشديد؛ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

فقد جاء العذاب كما السيل المنهمر، يصب عليهم من عل انصبابا؛ فأين المفر؟

وكان كلذع السوط وسرعته، يسوطهم فيخالط لحمهم ودمهم.

قالوا: العرب كانت تسمي العذاب الشديد سوطا، وقيل: بل أصل معنى السوط خلط الشيء بالشيء؛ ولان العذاب الشديد يخالط اللحم والدم يسمى بالسوط.

وهكذا جاءت نهاية «عاد» و«ثمود» وآل فرعون واحدة لأن أعمالهم كانت متشابهة بالرغم من اختلاف بلادهم وعصورهم وسائر تفاصيل حياتهم والجرائم التي ارتكبوها.

---

(١) ذكروا في نسب عاد: انه عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام.

(٢) الأحقاف: الأودية التي كانت تسكنها قبائل «عاد». والحقف: تلال عظيمة مع وجة من الرمال.

تبيين الآيات

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الحقيقة الواضحة: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِ﴾ قبيلة ﴿عَادٍ﴾؛ وهم قوم النبي هود، عليه السلام؛ فدمر عليهم مدينتهم القديمة ﴿إِرَمَ﴾ التي كانت ﴿ذَاتِ﴾ الأبنية المرتفعة على ﴿الْعِمَادِ﴾؛ أي: أعمدة، و﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي﴾ تلك ﴿الْبِلَادِ وَ﴾ الم تر الحقيقة الواضحة الأخرى: قبيلة (﴿ثَمُودَ﴾؛ وهم قوم النبي صالح، عليه السلام ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ﴾؛ أي: قطعوا الصخور، وجعلوها بيوتا لهم ﴿بِالْوَادِ﴾؛ أي: في الوديان التي تقع بين الجبال، والمراد: وادي القرى ﴿وَ﴾ الم تر الحقيقة الواضحة الثالثة: ﴿فِرْعَوْنَ ذِي﴾: صاحب ﴿الْأَوْتَادِ﴾: السلطة، او الأوتاد التي كان يعذب بها الناس.

الم تر الحقائق الواضحة لهؤلاء الثلاثة ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ التي حكموها ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾؛ فنزل عليهم العذاب الشديد ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ انصباباً كلذع السوط وسرعته؛ وجواب هذه الأقسام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ لأعمال الناس.

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ أي: اختبره ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمكانة بين الناس ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بالمال والثروة ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ لقربي منه؛ ونسي أن ذلك اختبار له؛ لا كرامة به. ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ أي: اختبره ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: ضيق عليه ﴿رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ لأنني منبوذ؛ ونسي أن ذلك اختبار له؛ لا مهانة به.

آية وبصيرة

يأتي ربك وجاء ربك

يقول تعالى حكاية عن كفار مكة الذين لم يؤمنوا:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، (سورة الأنعام: ١٨٥)؛ فكيف جاء بتعبير(يَأْتِيَ رَبُّكَ)، وهو إشارة صريحة – في ظاهره على الأقل – الى التجسيم؟

إن مثل هذه الإشكالية محلولة عندنا تماما؛ ولكنها عند غيرنا – القائلين بالتجسيم – معضلة كبيرة.

ففي تفاسيرنا: هذا القول زعم كفار مكة، وهو انهم كانوا يقولون للرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله: لن نؤمن بك الآن؛ بل ننتظر حتى يأتي ربك (والعياذ بالله)، أو يأتي بعض العذاب من قبله اذا لم نؤمن كما تزعم؛ فعندئذ نؤمن بك !!

والتبيين:(هَلْ) ماذا (يَنظُرُونَ) ينتظر كفار مكة حتى لا يؤمنوا (إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) ملك الموت وأعوانه (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) بزعمهم (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ)؛ كعلامات الموت.

أما قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، ففيه إضمار، والتقدير: أمر ربك؛ فيكون التبيين: (وَجَاءَ) أمر (رَبُّكَ و) جاء (وَالْمَلَكُ) جنس الملائكة يوم القيامة (صَفًّا صَفًّا) في صفوف متعددة؛ والله العالم.

البنت العابدة والأم الصامدة .. مريم ابنة عمران

• السيد سجّاد المدرسي

• لا يعني "اصطفاك" انك غير مسؤولة عن عمل، ولا مكلفة بواجب، بل بالعكس تماما تتضاعف مسؤولياتك وأعمالك

-١-

من هي المرأة؟

ما هي هموم الفتيات في عصرنا الراهن وما ينبغي أن تكون؟

وما هي مسؤوليتهن في حركة المجتمع؟

إطلالة بسيطة على واقعنا اليوم تكشف – بشَبٍ متفاوتة – عن التالي:

الفتاة مولودةٌ غير محببة إلى أهلها بادئ ذي بدء، فبالرغم من القرون التي تفصلنا عن الجاهلية التي كافحها النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، نجد العنصر الأنثوي، في نظر البعض، عنصراً مثيراً للمتاعب بعكس الذكر، لسبب واحد ربما يختزل التصور العام؛ وهو أن البنت والمرأة تأخذ أكثر مما تعطي، بينما العكس تماماً في الولد والرجل.

وما يثير الآباء وأرباب الأسر في عالمنا اليوم، ما بلغ من الانحطاط في مكانة المرأة في بلاد عدّة بالعالم، بسبب التحلل التام من القيم الانسانية التي أهدرت كرامة المرأة والفتاة وألقتها في دهاليز الاتجار بالبشر والرقيق الأبيض واستخدام خلق الله – تعالى – لتسويق المنتجات بشكل مُقرف ومُهين، حتى بلغ الأمر بتعرض فتيات في بلدان فقيرة في العالم للاختطاف ليتم تهريبهن إلى دولٍ أخرى واستعبادهن جنسياً، فطبقًا لتقارير الأمم المتحدة فإنه في عام ٢٠١٢ وصل عدد ضحايا الإتجار بالبشر إلى ٢.٤ مليون شخص، تم خطف وبيع أكثر من ٨٠٪ منهم للقيام بأعمال جنسية[١].

-٢-

نعم؛ ليست الصورة بهذه البشاعة؛ ولكنها بنسبةٍ أو بأخرى تمثّل الواقع الراهن في القرن الحالي، ولست هنا بصدد مناقشة الإحصائيات ولا بصدد المقارنة بين تعامل الغرب مع المرأة، وتعامل الإسلام معها، بل بصدد بيان تأثّر شريحة واسعة من بنات حواء في عالمنا الاسلامي بالصورة الجديدة والنمطية للمرأة التي رسمها الآخر ليبعد عنه شبهة التحلل والميوعة والسقوط الذي لا يجهله حتى الطفل الصغير.

فحتى تحقق المرأة والفتاة شخصيتها وذاتها في المجتمع، وتحديداً في محيط التعليم والعمل في بعض الدوائر الرسمية وغيرها، فإنها تحرص على تزيين نفسها بأنواع الزينة لا لشيء إلا لكي لا تكون «قبيحة» في نظر زملائها! وإن لم تكتفِ بالتزين، تدخّر الأموال لتصرفها على عمليات التجميل المختلفة للغاية ذاتها، ولكيلا تكون «متخلفة» تقوم بالبحث عن علاقات «صداقة» مع الرجال علّها تجد بينهم رجل أحلامها، ولكن...!

-٣-

أمام هذا التيار الهادر الذي يثير في النفوس حب الظهور والتبرّج والتأثير على الآخرين بكل ثمن، تكون الفتاة والمرأة على المحك، إما أن تختار العفّة وتكسب كرامتها وشخصيتها من خلال صون نفسها من الانجراف مع الإثارات والضغوطات، أو ان تنحني لهذه الضغوطات النفسية والرغبات والشهوات الداخلية وتنجرف مع تيار التحلل والميوعة.

المهمة صعبة للغاية، بيد أنها ليست مستحيلة بأن تقف المرأة، أمام ضغوط المجتمع من حولها، وعندما نطالع بعض التجارب المضيئة لبنات حواء في التاريخ نعرف أن لها الامكانية الكبيرة في تحقيق ذلك، والدليل؛ ما خلده التاريخ من ذكرى نسوةٍ قاومن كل الضغوط وتحملن مسؤولياتهن الرسالية والإنسانية فنحت التاريخ أسماءهنّ في سماء المجد ، ومن تلك النسوة الخالدات؛ السيدة الجليلة، مريم ابنة عمران، عليها السلام، تلك الفتاة التي خلّد القرآن الكريم ذكراها وذكر قصتها في أكثر من موقع ، بل جعل الله اسم سورةٍ من سور كتابه باسمها.

-٤-

السطور ليست كافيةً للإحاطة بحياتها، كيف؛ والقرآن الكريم لم يكتفِ بذكرها المرةً والمرتين، وفي كلّ موردٍ يذكّرنا بجانبٍ مشرقٍ من حياتها، ولكنا سنكتفي ببيان ومضات من ذلك بغية الاقتداء بها.

ولا يمكن للباحث عن حياة السيدة مريم، عليها السلام، إغفال دور أمها العظيمة ، بل ربما لا نجانب الحق إن قلنا أن مريم لم تكن لتصل إلى هذا المستوى لولا تلك الأم العظيمة التي عرفت واجبها الأساس في الحياة وهو تربية الجيل الصالح، وهكذا نجد القرآن الكريم يبتدئ الحديث عن قصة السيدة مريم بالحديث عن أمها حيث قال: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ*﴾، (سورة آل عمران: ٣٥ – ٣٦).

كانت الأم مرتا (وبالعربية وهيبة)[٢] تتوقع مولوداً ذكراً ليكون محرراً (أي خالصاً للمعبد)[٣] فلم تفكر في أن يكون للمولود شأنٌ مادي أو يكون معيناً لها، «بل فكرت في رسالة الإنسان في الحياة، وهي عبادة اللّه، والعمل في سبيله»[٤]، ولكن كانت المفاجأة أن المولود أنثى، والنتيجة كانت أن الله سبحانه تقبل من أم مريم هذه الوليدة حيث قال سبحانه: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَباتاً حَسَناً﴾، (سورة آل عمران: ٣٧).

وبعد دور الأم الصالحة كان دور الكفيل الرباني، الذي تكفّل مريم، ولم يكن سوى نبي الله زكريا، عليه السلام، الذي رسخ قواعد الإيمان والطهر في شخصيتها بعد أن غرست تلك القواعد أمها العظيمة.

ولم تكتفِ البنت بهذين الخصلتين العظيمتين، بل ترجمتهما إلى واقع عملي، فصارت تلك الفتاة المتعبدة لله سبحانه في المسجد والتي لازمت محراب العبادة دون أن تهتم بأي شيء مادّي حتى الحاجات الضرورية لها كالطعام، فتكفّل الله سبحانه لها بذلك حيث قال سبحانه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (سورة آل عمران: ٣٧).

و اصطفاء الرب – سبحانه – لها لم يكن ليخلي كاهلها عن المسؤولية، بل بالعكس تماماً كان ذلك موجباً للمزيد من المسؤوليات، حيث قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، (سورة آل عمران: ٤٢–٤٣).

فلا يعني «اصطفاك» انك غير مسؤولة عن عمل، ولا مكلفة بواجب، بل بالعكس تماما تتضاعف مسؤولياتك وأعمالك، فالخضوع للّه والتسليم لأوامره، والتجرد عن الذات (القنوت)، ثم التطبيق العملي لهذا الخضوع (السجود)، ثم التطبيق الاجتماعي له (الركوع مع الراكعين)، هو الواجب المضاعف على مريم، الذي استتبعه اختيارها للرسالة»[٥].

-٥-

الاصطفاء الإلهي والتربية الصالحة

• الاصطفاء الإلهي والتربية الصالحة والعبادة المخلصة والعفة والطهر، أوصلت مريم، عليها السلام، إلى أن تكون أمّاً لحامل الرسالة الإلهية بعدما كانت بنتاً عظيمة

ومن ثم العبادة المخلصة والعفة والطهر، كلها أوصلت مريم، سلام الله عليها، إلى مصافّ الصديقين، فكانت مهيأة لتتحمل مسؤوليةً أكبر وهي أن تكون أمّاً لحامل الرسالة الإلهية بعدما كانت بنتاً عظيمة.

فليس سهلاً على المرأة العفيفة التي حافظت على طهرها رغم جمالها[1]، أن تكون أماً دون أن يمسها رجل في أجواء وظروف اجتماعية كالتي كانت تعيشها آنذاك، ولكي تتقبل هذا الأمر لابد أن تكون في مستوىً عالٍ من التسليم لأمر الله سبحانه، وبالرغم من تسليمها وإيمانها بالله، إلا أنها، سلام الله عليها، كانت تتساءل عن كيفية حصول الأمر، وفيما يلي نورد الآيات الشريفة التي تتحدث عن هذه الواقعة بتصويرين رائعين؛ الأول: في سورة آل عمران والثاني: في سورة مريم:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَالِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، (سورة آل عمران: ٤٥-٤٧).

بشروها بكلمة من الله ليكون ابنا لها ويكون من الصالحين، لكن مريم الصديقة ارتاعت وامتلكها التعجب والدهشة، فكيف يرزقها الله ولداً دون زواج، هنا كانت الإجابة بأنه أمرُ الله سبحانه، فكان عليها أن تسلّم لذلك، وفي سورة مريم يبين الرب ذلك أيضاً حيث قال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾، (سورة مريم : الآية ١٦-٢١).

-٦-

وبولادة عيسى، عليه السلام، المعجزة وما رافقها من معاجز، بدأت صفحة أخرى من صفحات جهاد هذه الفتاة، ولم تكن بأسهل من الصفحات السابقة إن لم تكن أصعب، وكانت تتمثل في مواجهة قومها مع حملها لعيسى، عليه السلام.

فتصديقها بأمر الله بعد مخاطبة الملائكة لها وما شاهدته من معاجز شيء، ومقاومتها لتكذيب مجتمعها واتهاماتهم لها شيءٌ آخر، وليس هيّناً على الفتاة العفيفة أن تتهم في عفتها، لأن ذلك هادمٌ لسمعتها تماماً، ومن هنا أمرها الله سبحانه بصوم الصمت، فعليها أن لا تدافع عن نفسها بلسانها أبداً.

وكان هذا الأمر – هو الآخر– بحاجة إلى تسليم تام، فمن سيدافع عنها وعن سمعتها إن لم تدافع هي عن نفسها أمام البهتان العظيم الذي رماها قومها به الذي قال عنه الرب سبحانه: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾، (سورة النساء: ١٥٦)؟

كان عليها التصديق بأمر الله، وكان أمر الله مفعولا، وجرت الأحداث كما قال الله سبحانه: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، (سورة مريم: الآية ٢٦-٣٢).

تكفّل الرب سبحانه أمر الدفاع عن سمعتها بإظهار معجزةٍ أخرى هي تكلّم النبي عيسى، عليه السلام، مع القوم وهو في المهد، وهكذا بيّن لهم أن برّه بوالدته مريم الصديقة من وصايا الرب – سبحانه – له ما دام حياً.

مريم؛ تلك الفتاة الصغيرة تصبح عابدةً لله، وبالعبادة تسمو إلى مرحلة التصديق؛ ومنه إلى تحمل مسؤولية حمل كلمة الله، ومن ثم الدفاع عنه أمام المجتمع الكافر، وبذلك تحولت الى حجة الله – سبحانه – على كل الفتيات على مر الزمن، ممن يرمين بأنفسهن في أوحال الرذيلة، ثم يلقين باللائمة على الشهوة أو الأسرة أو المجتمع، ففي الحديث الشريف عن الإمام الصادق، عليه السلام: «تُؤْتَى بِالْمَرْأَةِ الْحَسْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّتِي قَدِ افْتُتِنَتْ فِي حُسْنِهَا فَتَقُولُ يَا رَبِّ حَسَّنْتَ خَلْقِي حَتَّى لَقِيتُ مَا لَقِيتُ فَيُجَاءُ بِمَرْيَمَ، عليها السلام، فَيُقَالُ أَنْتِ أَحْسَنُ أَوْ هَذِهِ قَدْ حَسَّنَّاهَا فَلَمْ تُفْتَتَنْ»[7].

• تحولت السيدة مريم الى حجة الله - سبحانه - على كل الفتيات على مر الزمن، ممن يرمين بأنفسهن في أوحال الرذيلة، ثم يلقين باللائمة على الشهوة أو الأسرة أو المجتمع

١- مجلة (يو أس أي تودي) الاميركية/ العدد ٤/ لشهر نيسان ٢٠١٢

٢- تفسير نور الثقلين/ ج١/ ص٣٣٤

٣- البرهان في تفسير القرآن/ ج١/ ص ٦١٧

٤- من هدى القرآن/ ج١/ ص ٥٥١

٥- من هدى القرآن/ ج١/ ص٥٦١

٦- البرهان في تفسير القرآن/ ج١/ ص ٦٢٠

٧- الكافي/ ج٨/ ص ٢٢٨.

﴿...وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ طوق نجاة من الفوضى

• زكي الناصر

طالما سعى المفكرون والعلماء فضلاً عن الساسة لصياغة أطر ومفاهيم تحقق النظام العام في الحياة، لما ينعكس إيجاباً على مسيرة العمل والإنتاج والتنمية في المجالات كافة، وفي الوقت نفسه، نلاحظ الحذر من أي فوضى مسببة للخسران والدمار.

ولكن؛ كيف يتحقق هذا النظام العام في حياة الانسان؟

في سورة القمر، ينبّه القرآن الكريم في مطلع هذه السورة المباركة الى وجود عامل أساس في تحقيق النظام والاستقرار؛ ليس في حياة الانسان، وإنما في الكون كله، ألا وهي السنن والقوانين الإلهية الثابتة: ﴿...وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾، مثل الموت والحياة لجميع الكائنات الحيّة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، (سورة آل عمران: ١٨٥) وما يعمله الانسان يرى نتيجته؛ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، (سورة النجم: ٣٩)، وهكذا سائر القوانين الثابتة.

هذه الحقيقة التي تواجه الانسان طيلة حياته، تثير فيه نوازع التمرّد ومحاولة خلق الجديد بغية التميّز بأي ثمن، حتى وإن كان بالتطاول على القوانين والسنن الإلهية، لذا نجد تبيين حقيقة ثبات السنن والقوانين في الآية الكريمة بعد الحديث عن تكذيب رسالة النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، رغم معاجزه الظاهرة وبراهينه القاطعة بالنبوة بصدق رسالته السماوية، وهذا بسبب؛ ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾، (سورة القمر: ٣).

• الحكمة من القانون الإلهي الثابت

هكذا يتساءل البعض ممن يبحثون في علوم حديثة ومتطورة جداً، مثل علم الجينات في العصر الحاضر، وما أنجزوه من تحليل «DNA»، وقبلهم ممن بحث في علم الأحياء الطبيعية، وفي طليعتهم «داروين» التي تمخضت تجاربه وتحليلاته عن نظرية «النشوء والارتقاء» و«أن الطبيعة قادرة على العمل بتناغم وتوازن تامّين لوحدها، دون مساعدة وتوجيه قوة أكبر»، وبغضّ النظر عن الجانب العلمي فيما يتعلق بالقوانين السائدة في الحياة، فان تجارب ونظريات كهذه فاحت منها – منذ البداية – رائحة التنكّر لقوانين وسنن السماء، ومن ثمّ القول بعدم الحاجة للهيمنة الإلهية، فكل شيء يجري وفق سياقات طبيعية وذاتية، ومثال ذلك التصوّر الذي شغل بال العالم والعلماء ايضاً لفترة طويلة، بأن الانسان لم يكن على هذه الشاكلة منذ بدايته الأولى، بل كان عبارة عن قرد!

القرآن الكريم، لا يناقش المخرجات العلمية والإبداعية لفكر الانسان، لأن هذا أمر مشروع، بل ومحبب للإنسان بأن يتعلّم ويرتقي حتى أن ينفذ ﴿مِن أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، (سورة الرحمن: ٣٣)، بيد أنه يناقش العامل النفسي المسؤول عن خلق الدوافع والمحفزات لهذه الفكرة او تلك، ويعبّر عنه بـ«الهوى»، وهو ما يتصف به المتمردون على القوانين الإلهية الثابتة، لذا فانهم ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، فوجود الثوابت من السنن والقوانين الإلهية، تحد من تدخّل الهوى في تقرير مصير الانسان والحياة.

ولذا نجد أن رسالة السماء، وخطاب القرآن الكريم يدعو الانسان دائماً الى الهدى لمساعدته في صراعه الدائم مع هوى نفسه وما تستدعيه من ميول بعيدة عن العقل والمنطق والمصلحة الحقيقية له ولمن يعيش في المحيط، وفي الوقت ذاته ثمة تحذير من اتباع الهوى، كون الهوى انعكاس من ذات الانسان، بينما الهدى انعكاس للحقيقة التي تتجلى في السنن الثابتة، وكما أن المعروف عن الهوى، تغيّرها وتبدلها المستمر، فان الهدى معروف بخطه المستقيم والثابت لأنه حقيقة وليس خيالاً او ناشئاً من تصورات ذهنية.

من هنا نفهم سر تعكّز الحكام الطغاة على الفوضى في الحياة، وهي ليست بالمعنى السلبي الذي يطيح بكراسيهم، إنما المعنى الذي يريدونه في المجال الذي يخشون صدور مخاطر على كرسي الحكم، فأحياناً تكون الحاجة الى الفوضى الأخلاقية والدينية، واستحسان التحلل الخلقي، كما فعل صدام وحزبه الحاكم في فترة حكمه، لان مصدر الخطر المحدق كان ينبع من الدين والأخلاق آنذاك، فيما نجد في بلاد أخرى، الفوضى الأمنية والسياسية، كما حصل في اليمن وسوريا وغيرها.

وهذه الرسالة القرآنية موجهة الى العراق اليوم؛ حكومة وشعباً، إذ إن الفوضى الاقتصادية والسياسية والخروج بعيداً عن القوانين والسنن الإلهية، من شأنها أن تزيد من الازمات في حياة الفرد والمجتمع وتبعده عن بصيص الأمل بالنجاة.

الأسرة ودورها في حماية الشباب من التطرّف

• حسام الدين محمد

شاع مصطلح «التطرّف» في السنوات الاخيرة عندما أضيف اليه «الديني» ليكون السمة الخاصة به، مع الحديث المسهب سياسياً واعلامياً عن مخاطر هذا النوع من التطرف على السلم الأهلي والأمن والاستقرار اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، مما يوحي للبعض أن التطرف لن يكون إلا في الدين وإظهار الهوية والانتماء، حتى بات كل من يحمل مظهراً دينياً أو يدلي برأي أو حكم شرعي فانه يُوسم بـ «التطرف»، بيد أن «التطرف الديني» الذي يتحدثون عنه، لم يكن ليظهر في الساحة لولا تطرف حصل قبل هذا في القاعدة الفكرية المنتجة للوعي والثقافة.

واذا عرفنا أن الشباب يمثلون دائماً القلب النابض للمجتمع ورمز القوة والاقتدار الذهني والعضلي للأمة، فان المعروف ايضاً عن الشباب سرعة التفاعل مع القضايا والافكار المحيطة بهم، وغلبة جانب العاطفة على العقل عند اتخاذ المواقف والاحكام، الامر الذي يجعلهم دائماً على حافة التطرّف في كل شيء.

والتطرّف؛ مفردة واردة في قواميس اللغة قبل ان تتحول الى مصطلح سياسي، فقد جاء لسان العرب: «وطرّف الشيء وتطرّفه: اختاره»، كما جاء ايضاً: «..وتطرّفت الشمسُ: دنت الى الغروب»، فيما جاء في العباب الزاخر: «تطرّف، وقيل: بمقدار ما يبلغ البالغ الى نهاية نظرك»، وهناك تعريفات أخرى للمفردة في هذه القواميس لسنا بوارد الخوض فيها، سوى الاشارة الى أن المفردة تنصرف الى تفضيل اتجاه وطرف معين على آخر.

وفي ظل هذا المعنى يكمن خطر نشوء التطرف في فكر الشباب الباحث في هذه المرحلة العمرية عن الجديد والمثير دائماً، وما يشبع فضوله ويصنع شخصيته، فعندما نلاحظ التفاعل الشديد مع عنوان كتاب، او مع موقع على الانترنت، او مع القنوات الفضائية، او حتى مع جماعة او مؤسسة او أي مصدر إلهام فكري وثقافي آخر، فهذا ربما يكون علامة ايجابية للتطلّع الى المعارف والعلوم والافكار، كما يمكن ان يستحيل بذرة تطرف نحو فكرة معينة تجره – من حيث لا يريد غالباً– الى ما يلحق الضرر بأبناء مجتمعه وأمته، وقبلهم افراد أسرته والمقربين منه.

• لن تتمكن الأسرة من توفير الاجواء المساعدة لنمو فكري سليم، ما لم تتوفر لديها هي، أدوات البناء لهذا الفكر، فالاعتدال والاتزان المطلوب من الشباب، يتطلب في الوقت نفسه، اعتدالاً واتزاناً من الأبوين في طريقة الحديث مع ابنائهم

• البداية من الأسرة

اذا كانت هنالك عوامل ذات مدخلية في خلق ظاهرة التطرف، مثل المدرسة والجامعة والاعلام والتنظيمات والجماعات السياسية، فان الاسرة تبقى صاحبة التأثير الأكبر والمباشر، فمن الممكن ظهور شباب متطرفين لصالح قيمة دينية تنتمي اليها الأسرة، كما هو الحال في بعض المجتمعات الاسلامية التي أفرزت الانتحاريين والتكفيريين، كما يمكن ظهور شباب متطرفين بافكارهم في غير صالح المجتمع والامة بشكل عام، عندما يكون التطرّف عنواناً للتمرد وللعلاقة المختلّة بين افراد الأسرة، ولاسيما مع رب الأسرة.

إن المعروف عن العلاقة الأسرية تميزها عن سائر أنواع العلاقات بالسمة الحميمة والعاطفية والحميمية النابعة من ينبوع الفطرة الانسانية، فالأب والأم وحتى الأخ الأكبر إنما يقسون احياناً او يتخذون اجراءات شديدة ويتابعون تصرفات الصغار، بدافع الحرص على حاضر ومستقبل الصغار في السن من البنين والبنات، وهو ما لا يتوفر – على الاغلب– في سائر أنواع العلاقات مثل علاقات الصداقة والزمالة وغيرها.

وقد أشّر الخبراء والمتابعون في مجال التعليم على هذه النقطة بشكل مركز مؤكدين تأثير الأجواء الأسرية السليمة في وجود طالب مجد وذكي وذي نفسية مستقرة، مشبع بالعواطف والحنان، وبالعكس تماماً في حالة الطالب المشتت في فكره وذهنه وما ينعكس ذلك على مستواه الدراسي والسبب يعزوه فوراً الى التشتت العائلي والازمات العاطفية والأزمات العاصفة في محيط الأسرة.

وهذا يؤكد أكثر من أي وقت آخر على دور الأسرة في التنشئة الفكرية للأبناء وتمكينهم الذهني والعقلي لصياغة منظومة فكرية تواكب حياتهم تستقي جذورها من الثوابت والأصول، وبالنتيجة يكون الشاب ذا فكر معتدل يزن الامور والقضايا وفق معايير صحيحة بعيدة عن أي نوع من الانفعال والتسرّع.

ولن تتمكن الأسرة من توفير هذه الاجواء المساعدة لنمو فكري سليم، ما لم تتوفر لديها هي، أدوات البناء لهذا الفكر، فالاعتدال والاتزان المطلوب من الشباب، يتطلب في الوقت نفسه، اعتدالاً واتزاناً من الأبوين في طريقة الحديث مع ابنائهم، ومناقشة ما يريد الشاب طرحه من افكار مثل الحرية والإصلاح والتنمية والحديث عن المستقبل والتقاليد وغيرها من الامور ذات العلاقة ببناء شخصيته.

ويمكن الإشارة الى عدّة أمور في هذا المضمار:

أولاً: الصبر

فالمعروف عن الآباء في ظروف كالتي نعيشها اليوم، شعورهم الدائم بالارهاق البدني والذهني بسبب زحمة المشاغل والاهتمامات داخل وخارج البيت، مما يجعلهم في محيط الأسرة افراداً قليلي التحمّل وسريعي الغضب، وعندما يحصل أن يطرح الشاب او الشابة فكرة او قضية حساسة عن عمل البنات الخريجات من الجامعة، او العلاقات بين الجنسين في الجامعة او طرح افكار معينة، او ربما يصدر اعتراض من الشباب على شيء معين في البيت، فان هذا وغيره يكفي لأن يكون سبباً لإثارة الغضب والاستنكار من الأب او الأم، الامر الذي يتطلب إطالة حدود الصبر بغية التفهّم الكامل، للإيحاء الى الابناء أن لديهم الأذن الصاغية في الأسرة، وثمة من يحترم مشاعرهم ويستمع اليهم بأناة.

ثانياً: الوعي.

من المهم جداً تحلّي الكبار في الأسرة بدرجة جيدة من الوعي بمختلف شؤون الحياة، مما يمكنهم من التعامل مع المستجدات والتطورات المحيطة بالشباب، فالوعي الاجتماعي والثقافي وقبلهما؛ الديني، يوفّر على الابوين الوقت والجهد الذهني لمحاكاة الشباب ومعايشة اوضاعهم والاسهام في حلّ المشاكل والتحديات التي يواجهونها سواءً في الجامعة او في محيط العمل.

ثالثاً: النظرة الايجابية.

وبعكسها النظرة السلبية إزاء الشباب والتي من شأنها ان تكون من كبير الأسرة معولاً لهدم المشاعر والطموحات في نفوس الشباب، فعلى الكبار أن يتذكروا دائماً أصالة الحالة الايجابية لدى الشباب كونهم باحثين في هذه المرحلة العمرية عن الجديد في الحياة من خلال النظرة الايجابية الى مختلف شؤون الحياة، مع التذكير بمسؤولية الآباء بتقويم هذه النظرة وحمايتها من دخول بعض الشوائب تحت غطاء الايجابية والجمالية المثيرة لمشاعر الشباب.

• الحالة النفسية والمنطقة الحرام!

بحث علماء النفس والمهتمين بالشأن التربوي أزمة التوافق الفكري بين الآباء والابناء، وكيف أن التباين في نمط ومستوى التفكير أسفر عن تمزقات خطيرة في العلاقات الأسرية تمثلت في انشقاق بعض الشباب عن كيان الأسرة او نشوب خلافات ومشاجرات، وفي أحسن الفروض؛ تحكّم حالة التشنج في العلاقة بين افراد العائلة على طول الخط.

هذا المآل السلبي يدفع الشاب للبحث عن أجواء التوافق مع طريقة تفكيره وما يوفر له أجواء الاحترام

• سبل المعرفة القرآنية تعتمد الاقناع بالدليل والبرهان، واذا ما فشل الانسان في الوصول الى هذه المعرفة، فانه لن يكون متطرفاً يدّعي صحّة ما يقول، إنما يكون السبب في شقاء نفسه

والتقدير لشخصيته، وهنا يأتي دور بعض الجماعات والمؤسسات التي ترفع عناوين جميلة ومحببة لنفس الشاب مثل؛ التنمية البشرية والرياضة والفن وغيرها.

وكما هي الظواهر اللاأخلاقية التي تشكو منها بعض المجتمعات والبلاد بسبب ظهور شريحة من الشباب المتشظّي من أسر قاصرة ثقافياً وتربوياً، فان ظواهر التطرّف الفكري –هي الاخرى– تعبر عن ذات الحالة غير الطبيعية في أسر من هذه المواصفات، حيث الجفاء والإلغاء سيد الموقف في العلاقات الأسرية، ويكون من الصعب على الشاب او الشابة التعبير عن مشاعرهم وآرائهم في زمن يموج بالافكار والمعلومات السريعة عبر العالم بالصوت والصورة، بل إن مجرد الاصطدام بكتاب ما في البيت، او باتصال معين عبر وسائل التواصل الاجتماعي بما يسمى بـ «القروبات»، او حتى بحديث معين، يعدّ بحد ذاته كافياً لاتخاذ قرار صعب وغير سليم بالبحث عن مكان آخر أكثر هدوءاً وراحة، وهذا لا يتم دائماً بشكل مسموع، إنما يكون على الأغلب خلف جدار الصمت، وهو الاكثر خطورة.

نعم؛ ترد الكثير من الانتقادات على ما تروجه وسائل التواصل الاجتماعي وايضاً القنوات الفضائية والكتب وسائر وسائل التثقيف، ولكن؛ في نفس الوقت يجب ان نتذكر أن ما هو خاطئ لدينا، ربما يكون صحيحاً لدى الشاب او الشابة، بحكم التنوع في الاستيعاب والفهم والادراك، لنأخذ الطفل وتفاعله العميق مع مشاهد افلام الكارتون، حتى يكاد تجسيد ابطال القصة واحداثها داخل غرفته الصغيرة بحركاتها واصواته...! فهل يدفع هذا الابوين الى محو القنوات الخاصة بالاطفال؟

إن محاكاة فهم ومشاعر الشباب ليس بالأمر الهيّن، فهو يحتاج الى مستوى من الثقافة والمعرفة والاخلاق لاستقطاب الشباب، وتطمينهم بأن مشاعرهم و افكارهم محل عناية واحترام وتفهّم، ومن مصلحة الجميع التبادل الفكري والثقافي في أجواء ودّية يسودها الاحترام المتبادل.

وخير تجربة تفيدنا في هذا المجال، ما نُقل عن النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، أنه كان شديد الحرص على اختيار الكلمات الاكثر تناسباً مع افراد المجتمع، فلم يكن يختار – في كثير من الاحيان– الاسلوب المباشر في الارشاد لعلمه المسبق بتنفر النفس منه، ونُقل عنه، صلى الله عليه وآله، بأنه كان يعبّر عن حرمة عمل ما بـ «إني أكره هذا...».

هذا النوع من الاعراب عن مشاعر معينة من قبل الابوين أو كبار الأسرة، قطعاً يستتبع السؤال عن السبب من قبل الشباب وحتى الصغار في السنّ، وهو ما يفتح باب الحوار الهادئ بالدليل والبرهان، وربما خلال دقائق معدودة، يكون بالامكان تصحيح مسار تفكير معين او التخلّي عن فكرة خاطئة.

• ثقافة القرآن الكريم

يمثل الخطاب القرآني نموذجاً متكاملاً للحوار الناجح بين افراد المجتمع لاعتماده العقل في طرح المسائل العقائدية وما يتعلق بالخالق والوجود، لان أعزّ ما عند الانسان هو عقله الذي يميّز له الصواب عن الخطأ، وبين الخير وبين الشر، ولذا نقرأ في غير سورة الاشارة الى العقل والتذكير والتفكير بصيغ مختلفة، مثال ذلك ما جاء في سورة البقرة في سياق الاجابة غير العقلانية للرافضين الرسالات الإلهية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾، والآية الأخرى في سورة يونس، عن ابتعاد الأمم عن السبيل المؤدي الى معرفة الخالق: ﴿...أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟! وبذا نجد أن سبل المعرفة القرآنية تعتمد الاقناع بالدليل والبرهان، واذا ما فشل الانسان في الوصول الى هذه المعرفة، فانه لن يكون متطرفاً يدّعي صحّة ما يقول، إنما يكون كافراً وجاحداً، ويكون السبب في شقاء نفسه، كما يتحدث القرآن الكريم عن الأقوام التي تنكّرت لخطاب العقل وركبت رأسها واستجابت لأهوائها ومصالحها الآنية فكان مصيرها الى زوال.

ان مشكلة التطرف الفكري التي تعاني منها المجتمعات والشعوب في الوقت الحاضر، تدخّل السياسة والامن وحتى الاقتصاد لمعالجة ظاهرة ليست من اختصاصها، وربما يكون التجنيد الواسع لمواطنين من اوربا و اميركا في صفوف تنظيم «داعش» خير دليل على أن المشكلة ليست اقتصادية ولا سياسية، إنما هي اجتماعية – أسرية بامتياز، فالنجاح الذي حققه هذا التنظيم الارهابي في عقر دار الغرب، إنما جاء من خلال فشل الأسرة في الغرب من الحؤول دون تسرّب ابنائها الى مهاوي التطرف والارهاب ، ومن ثم الانتقام من المجتمع ومن الانسانية جمعاء. وهنا يقفز التساؤل عن حجم اهتمام الأسر في البلاد الاسلامية بالثقافة القرآنية، وليس بالقرآن الكريم تلاوةً وحفظاً؟

ان التلاوة والقراءة، مع ما لها من فضل وآثار عميقة على النفس، فان القراءة مع المذاكرة والمدارسة تترك آثاراً ذات ابعاد واسعة في حياة الفرد والمجتمع، لاسيما اذا رافقها الاستعانة بالكتب والمؤلفات التي تشرح الدلالات والمضامين القرآنية وتستخرج العبر منها، بما يسهل عملية رسم خريطة سليمة للتفكير.

• مشكلة التطرف الفكري التي تعاني منها المجتمعات والشعوب في الوقت الحاضر، تدخّل السياسة والامن وحتى الاقتصاد لمعالجة ظاهرة ليست من اختصاصها

مسائل ابتلائية

• بيع الدولار بالآجل

س: ما هو حكم بيع الدولار بالآجل، كأن يكون اليوم سعر (١٠٠ دولار) بـ(١٥٠,٠٠٠ دينار عراقي) فيكون البيع بعد شهر مثلا بـ(٢٠٠,٠٠٠ دينار عراقي) بشرط أن أسلمه (١٠٠ دولار) ويسلمني بعد شهر نقداً عراقياً؟

ج: الأحوط في بيع الدولار والدينار أن يتم التقابض في المجلس، فعليه لا يصح بيع العملات بالمؤجل.

• الغيبة

س: ما هي الغيبة؟ وما هي مواطن الغيبة المشروعة؟

ج: الغيبة من المعاصي الكبيرة، وهي: ذكر الشخص في غيابه بإظهار نقصه المستور بحيث يكره لو سمعه، أما النقص الظاهر، فاذا قصد المتحدث بذكره النقص، أو كان الانتقاص يَترتّب على ذلك بشكل طبيعي، فهو ليس من الغيبة ولكنه حرام أيضاً من جهة أخرى.

أما موارد جواز الغيبة فهي:

١- غيبة المتجاهر بالفسق.

٢- تَظلُّم المظلوم فيما ظُلم.

٣- نُصح المستشير، والاستفتاء، والشهادة عند القضاء على إتيان المنكرات، وجرح الشهود والرواة.

٤- إذا قصد ردع المغتاب عن المنكر، او دفع الضرر عنه.

٥- رد من ادّعى نسباً كاذباً.

٦- لو كان شخصاً معروفاً بمعصية بين شخصين فبين أحدهما للآخر معصيته المعروفة بينهما، جاز.

• غسل الجنابة

س: استيقظت صباحا واغتسلت بلا أي سبب ظاهر وبعد أداء الصلاة تذكرت باني كنت مجنبا فما الحكم؟

ج: لو اغتسلت بلا سبب ظاهر، ثم علمت انك كنتَ قد أجنبت من قبل، كفاك ذلك إن شاء الله تعالى.

• إرشاد الجاهل

س: ما مدى وجوب إرشاد الجاهل أو عدمه؟ وما هي الحدود في ذلك؟ علما أننا نرى بعض المؤمنين في الزيارات للائمة الأطهار لديهم أخطاء في أداء الصلاة او الوضوء او ما الى ذلك؛ فما هي الحدود في ذلك؟

ج: لابد من إعلام الجاهل بالحكم الشرعي ما لم يوجب الوقوع في الحرج.

• تحية الإسلام

س: لو كانت التحية بغير لفظ «السلام عليكم» كما لو قال المسلّم: «صبحكم الله بالخير» هل يجب الرد؟

ج: يجب الرد احتياطاً.

• التسوق من البقال

س: عند التسوق من البقال، يقوم الزبون بأخذ النوع والحجم الذي يرغب بشرائه، ولكن البعض يضيف على ذلك بأعمال مثل ضغط الرمان بيده بدعوى التعرّف على جودته، وربما يتركه ولا يشتريه، فهل يجوز ذلك؟

ج: إذا كان مما يتسامح به العرف عادة؛ فيجوز.

• تفسير القرآن بالرأي

س: ما المراد بالنهي عن تفسير القرآن بالرأي؟

ج: يعني تفسير القرآن الكريم بالرأي ومن غير دليل شرعي.

مطابقة لفتاوى سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج السيد محمد رضا المدرسي دام ظله

آفة الأسرة الآمنة الطلاق

• الشيخ علي الخزاعي

• الخلوة الحديثة هذا الزمان هي مواقع الانترنت، بعد أن كانت الخلوة في غرفة مغلقة، وعن الإمام جعفر الصادق، عليه السلام، أنّهُ قَالَ: «حَدِيثُ النِّسَاءِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ»

ارتفاع نسب الطلاق في بلادنا الإسلامية بشكل فظيع، يشكل ظاهرة اجتماعية خطيرة غير مسبوقة، رغم أن بعض الزيجات يجهدن انفسهن للعيش مع أزواج يتصفون بغلظ الكلام، وصعوبة المزاج، فيبدين الاحترام، ويبذلن من عليهنّ من الحقوق الزوجية، وهذا ربما لا يدلّ بالضرورة على خوف من الرجل، أو ضعف في شخصية المرأة، إنما دلالة على سمو أخلاقها وعمق إيمانها بالله، مما يجعلها مأجورة لديه – تعالى–، وأيضاً؛ تكون محترمة بين مجتمعها، بصبرها على سوء خُلق زوجها، وتحمّل بعض التصرفات والسلوكيات غير اللائقة منهُ.

هنا يقع التساؤل؛ عن السبب وراء انتشار الطلاق في مجتمعاتنا الإسلامية؟.

البحث عن الأسباب الحقيقية

لكل أثر مؤثر؛ فمَنْ الذي جعل كلمة الطلاق تنطلق على لسان بعض المتزوجين بسهولة؟

بحث العلماء والمختصون بالشأن الاجتماعي أسباباً عدّة لظاهرة الطلاق، نذكر منها:

أولاً: وجود المسلسلات المدبلجة في حرم الأسرة.

فيما يتعلق بالمسلسلات التلفزيونية، نستطيع القول: إنها تسهم في تفكيك الروابط الأسرية ولكن بنسب متفاوتة في حجم الضرر والمتضرر من أفراد الأسرة، مثل الولد أو البنت أو أحد الزوجين، وهؤلاء جميعهم أو بعضهم نجدهم – للأسف – يجعلون هذه المسلسلات ضيفاً عزيزاً عليهم في معظم الليالي، ويخصصون لها أوقاتاً غالية.

وقد كثرت التقارير والإحصائيات حول ارتفاع معدلات الطلاق في بلادنا بسبب انتشار المسلسلات المكسيكية والتركية وغيرها، حتى باتت توازي الأسباب الأخرى للطلاق، بسبب الإثارات الجنسية الرخيصة التي تنتهك حرمة العلاقات الزوجية المقدسة.

ثانياً: مواقع التواصل الاجتماعي.

صحيح أن لمواقع التواصل الاجتماعي فوائد لتبادل الأخبار والمعلومات المفيدة وبعض الإيجابيات، بيد أن المؤكد أيضاً انه يُعد عملة ذات وجهين لابد من الانتباه إلى الوجه السيئ منها، وهو الذي يتيح لجميع أفراد العائلة التواصل والاتصال بشكل عشوائي مع أي شخص يصادفهم على هذه الشبكة العنكبوتية، ومنهم بعض الزوجات اللاتي يقضين ساعات عديدة لوحدهن – أحياناً – ويكون الاتصال بدوافع مختلفة أحياناً؛ بدافع الفضول أو الاطلاع أو التعرف على بعض المعلومات وغير ذلك، بيد أن كل ذلك يصبّ في المحظور ومنزلق الانحراف الذي طالما ورد التحذير منه في النصوص الدينية، ومنها روايات المعصومين، عليهم السلام، فقد نهى رسول الله محمد، صلى الله عليه وآله، عن محادثة النساء مع غير المحرم عليها، قَالَ صلى الله عليه وآله: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَمَا مِنْ رَجُلٍ خَلَا بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا»؛ والخلوة الحديثة هذا الزمان هي المواقع المتوفرة من خلال الهاتف الجوال، بعد أن كانت الخلوة في غرفة مغلقة، وعن الإمام جعفر الصادق، عليه السلام، أنهُ قَالَ: «حَدِيثُ النِّسَاءِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ».

ثالثاً: التدخّل السلبي في حياة الزوجين.

من المعروف أن المجتمع العربي والإسلامي يتميّز بوجود تماسك أسري يجعل المتزوجين حديثاً محميين من أي انحراف أو أزمة في حياتهم، بوجود الأب والأم وحتى الأعمام والأخوال للطرفين، فالجميع يمثلون الجدار الذي يستند إليه الشباب المتزوجون حديثاً والحديثي العهد بالمسائل الزوجية والاجتماعية.

يُقال كانت العرب تنصح البنت في ليلة زفافها بما يفيدها في حياتها، ومما ينقل أن امرأة من نساء العرب أوصت ابنتها ليلة زواجها، وقالت لها: «لو تُركت الوصية لأحد لحُسن أدب، وكرم حسب، لتركتها لكِ، ولكنها تذكرة للغافل ومئونة للعاقل، إنكِ قد خلفت العش الذي فيه درجت، والوكر الذي منه خرجت إلى منزل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكن لك عبداً...»، إلى آخر المقال.

أما اليوم – للأسف – نلاحظ التوجيه السلبي يصدر من الأقارب، سواءً للزوج أو للزوجة، بما من شأنه أن قطع الوشائج الرقيقة وخنق الحب الحديث النشوء بين المتزوجين، وبالنتيجة تنمو الكراهية والأنانية والتنافر ثم الانفصال في نهاية المطاف.

هذه من جملة الأسباب المؤثرة في انتشار حالات الطلاق في المجتمع، وربما هنالك أسباب أخرى لها علاقة بالوضع الاقتصادي أو الصحي أو النفسي، بيد أن الملاحظ أن البعض من الباحثين يسعى لأن يقحم سبباً آخر تحت عنوان: «الزواج المبكر» بدعوى صعوبة إيجاد التفاهم بين زوجين صغيرين في السن.

والذي يفند هذا الرأي ما جاءت به الروايات الشريفة من تأكيد على فوائد الزواج المبكر، فقد جاء عَنْ أبي عبد الله، عليه السلام، قال: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ لَا تَطْمَثَ ابْنَتُهُ فِي بَيْتِهِ»؛ أي لا تحيض، وجاء ايضاً عنه، عليه السلام: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا عَلَّمَهُ نَبِيَّهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسلم، فَكَانَ مِنْ تَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ أَنَّهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ذَاتَ يَوْمٍ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ جَبْرَئِيلَ أَتَانِي عَنِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ فَقَالَ: إِنَّ الْأَبْكَارَ بِمَنْزِلَةِ الثَّمَرِ عَلَى الشَّجَرِ، إِذَا أَدْرَكَ ثَمَرَهُ فَلَمْ يُجْتَنَ، أَفْسَدَتْهُ الشَّمْسُ، وَنَثَرَتْهُ الرِّيَاحُ، وَكَذَلِكَ الْأَبْكَارُ، إِذَا أَدْرَكْنَ مَا يُدْرِكُ النِّسَاءَ فَلَيْسَ لَهُنَّ دَوَاءٌ إِلَّا الْبُعُولَةُ، وَإِلَّا لَمْ يَؤْمَنْ عَلَيْهِنَّ الْفَسَادُ لِأَنَّهُنَّ بَشَرٌ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ نُزَوِّجُ، فَقَالَ: (الْأَكْفَاءَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنِ الْأَكْفَاءُ، فَقَالَ: الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَكْفَاءُ بَعْضٍ، الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَكْفَاءُ بَعْضٍ».

جَاءَ في كتابِ «ما وراء الفقه»، لآية الله الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر – قدس سره – يقول: «الزواج المبكر: وهو ما أكد عليه قادة الإسلام في النصوص الواردة عنهم سلام الله عليهم. وهو – في حكمته – يندرج في الحث على زيادة الذرية التي يكاثر ويفاخر بها رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يوم القيامة. لوضوح أنه كلما كان الزواج أبطأ أو ابعد كانت الفرصة للإنجاب اقل، لا من حيث الزمان فقط، بل من حيث صحة الوالدين أيضاً وقابليتها للإنجاب».

• الأسرة والقدوة الحسنة

لم يعد خافياً؛ حرص الإسلام على بناء شخصية المرأة والحفاظ على كرامتها وحقوقها، بينما نلاحظ بالمقابل؛ الثقافة الغربية التي تدّعي الدفاع عن المرأة وحقوقها، فإنها تتجه دائماً إلى جعل المرأة مجرد سلعة تجارية تدر الأرباح، من خلال إظهار مفاتنها في مجالات عدّة منها؛ السينما والتلفزيون والاستعراضات الهابطة فنياً والتسويق التجاري.

إن الإسلام يرى في المرأة نقطة الانطلاق إلى التقدم، كما يُشاع بيننا المقولة:

«وراء كل عظيم امرأة»؛ هذه العظمة لم تأت من فراغ لولا وجود رموز عظيمة تقتدي بها المرأة المسلمة، مثل رسول الله، محمد صلى الله عليه وآله، وسلم مما يدعو المجتمع للتأسّي به والاقتداء بنهجه، وكيف أسس لنظام اجتماعي وكيان أسري، وشدد على الزواج من خلال تخفيف المهور، واعتماد معيار الأخلاق والإيمان لاختيار الزوج.

والقدوة الأخرى للمرأة المسلمة؛ الصديقة الزهراء، عليها السلام، فما أجدر بالزوجات في مجتمعنا بأن تتخذ سيدتنا فاطمة الزهراء، عليها السلام، أسوةً لها.

كانت، عليها السلام، شاكرة ربها عند الرخاء، راضية بقضاء الله – تعالى – ومن سماتها الحميدة؛ الجود والإحسان والسَّخاء، فقد ظلّت فاطمة الزهراء، عليها السلام، طيلة حياتها مع زوجها؛ وتربيَّت أولادها ؛ وذابت في حبهما كما تذوب الشموع.

ولم تكتف بهذا حتى سألت بعلها أمير المؤمنين عليّاً، عليه السلام، – حتى يطمئنَّ قلبها – عندما أحست نعيت إليها نفسها قالت عليها السلام: «يَا ابْنَ عَمِّ، مَا عَهِدْتَنِي كَاذِبَةً، وَلَا خَائِنَةً، وَلَا خَالَفْتُكَ مُنْذُ عَاشَرْتَنِي»؟!. فقال، عليه السلام: «مَعَاذَ اللهِ أَنْتِ أَعْلَمُ بِاللهِ».

وفي الختام؛ نجد أن كل الفرص متوفرة اليوم أمام المرأة (الزوجة) لتحقيق السعاد الزوجية والابتعاد عن مواطن النزاع والشقاق وانهيار الحياة الزوجية، يبقى الإرادة التي يجب أن توفرها المرأة في نفسها.

• إن الإسلام يرى في المرأة نقطة الانطلاق إلى التقدم، كما يُشاع بيننا المقولة: «وراء كل عظيم امرأة»

الأمة والفهم الواقعي لِحكم التَشريع

• أنور عزّالدين

نقطة بداية التفكير القيمي في الشريعة الإسلامية، هي البحث عن أُمّ القيم، أو قيمة القيم، لتمثل لنا قمة الهرم الذي تنساب منه بقية القيم، وهي النقطة التي بدأت منها كثير من المدارس الأخلاقية، التي بحثت عن جوهر الأخلاق، فنجده عند المسيحية الحب، وعند الزرادشتية المسؤولية، وعند الكونفشيوسية البرّ بالآباء.

أما المذاهب الحديثة، فقال (كانت): سيادة الغايات، وأن تجعل إرادتك متفقة مع إرادات الآخرين، وتحافظ على كرامة البشر، وعند (كير كيجارد): هي قلق داخلي، وأصلها الإيمان الخالص، وعند (توماس مور): التماثل الرياضي، وعند (هوبز): الاهتمام بالدوافع والمنفرات، وعند (دي ميستر): تحديد القيمة حسب المردود، وعند (متشنيكوف): التضامن المنفعي، وعند (فرويد): إطلاق الحرية الجنسية وفك عقدها، وعند (نيتشه): الحيوية الفردية والحياة لمن غلب، وعند (هيوم): حساسية فيزيائية تصنعها التربية، وعند (راو): الفاعلية (تجربة ذاتية)، وعند (برغسون): الاندفاع الذي يقاوم به الإنسان جبر المادية، وعند (سارتر): ممارسة الحرية الذاتية، شريطة أن تكتمل بممارسة الآخرين لحرياتهم.

وهكذا نجد أن كل مذهب من المذاهب، يختار مرتكَزاً ليكون الأساس للبناء الأخلاقي والسلوكي، فالقيمة العليا وجوهر الأخلاق هو المحور الذي تدور حوله بقية القيم، مُشكِّلةً فيما بينها منظومة قيمية متكاملة، تُبنى على أساسها المواقف، وتُحدَّد على ضوئها الاتجاهات، وبغياب هذه القيمة أو فقدانها، ينفرط عقد القيم وتضيع معها الأولويات.

ومن هنا، كان البحث عن أُمّ القيم ضرورةً تفرضها الطبيعة المنهجية، فلا يمكن الكلام عن نظام قيمي شرعي، من دون الإجابة على هذا السؤال: ما هي قيمة القيم في التشريع الإسلامي؟

في قمة الهرم القيمي يتجلى نور التوحيد، ومن ثم أسماء الله الحسنى، وبعدها يأتي دور الإيمان كصلة بين الحق والخلق، ومن الإيمان تجري روافد القيم، لأن الإيمان في واقعه هو التسليم للحق، وفي البدء التسليم للحي القيوم الذي به قامت السماوات والأرض، ثم التسليم لأسمائه الحسنى التي تتجلى في سننه، وفي الخليقة، وفي الشريعة وحدود أحكامها.

أما كيف يتحقق ذلك؟

إذا نظرنا لحقيقة الإيمان، نجد أنه في الواقع تعبير عن الاعتراف بالحق، وإن العقل هو مصدر إيماننا به؛ لأن العقل الذي يثق بذاته حين يكشف عن حقيقة لا يرتاب فيها، حينئذ يتحقق الاعتراف بوجودها، بما للاعتراف من أبعاد وامتدادات، فحين تؤمن بوجود شخص لابد أن تعترف بحقه في الحياة، وحقه في أن يشغل حيزاً من الأرض، وحقه في أن يتنفس وأن يفكر

وأن ينطق، هكذا أيضاً حين نعترف بالله وبأسمائه، وبالشمس والأرض والحياة، فنشرع في بناء الحقوق الموضوعية، ويُعد هذا الاعتراف بذرة الحق في أرض القانون.

وعليه، يصبح الإيمان «قيمة القيم»، وعندما نقول: الإيمان؛ نقصد كلا جانبيه؛ الإيمان بالغيب، والإيمان بالشهود، أو حقوق الله وحقوق الناس؛ أما حق الله، فهو الذي يضفي على الإنسان قيم التسامي والطموح نحو الكمال، وهو حق العبادة التي تتفرع منها بقية القيم العبادية، أما حقوق الناس فهي التي تخلق الانسجام مع الآخر، بحيث تصبح حركة التكامل صفة جماعية لا تعوقها تصادم الإرادات البشرية.

أما كيف تتدرج بقية القيم من الإيمان، فإني أكتفي بنقل ما ذكره سماحة السيد المرجع المدرسي في كتابه «التشريع الإسلامي»، كنماذج لكيفية تدرج القيم من الإيمان.

يقول: «وكلمة الفصل في معرفة أُمّ القيم وجوهر الأخلاق، وأُمّ الفضائل أنها الإيمان، وأبسط تعريف له، تقبُّلُ الحق كله، والتسليم له طوعاً، ويتشعب من الإيمان: الحب، والعدل، والحياة؟» ومن كل شعبة تفيض قيم أخرى حسب التفصيل التالي:

أ/ الحب:

إن أعظم تطلّع عند النفس تجاوزها، وقد فُطرت النفس البشرية على أن رسالتها الأولى تتمثل في التكامل بها، إلى حيث نفي ذاتها لمصلحة ذات أخرى، أو لا أقل بالتحول من حالها إلى حالة أسمى. وهذا مصدر حب الله سبحانه، والانجذاب إلى جماله وكماله، والبحث عن أية وسيلة للتقرب إليه زلفى.

ومن الحب؛ الإحسان إلى الآخرين (الأديان السماوية)، والبرّ بالآباء (كونفوشيوس)، والزهد والتبسيط (الطاوية)، وتربية الذات على الطهارة والتنسك والعدل (فيثاغورس)، حب الله وحب الغير (المسيحية)، ولعلّ هدف المذاهب الصوفية كان في البدء تعميق هذا الأصل في روح الإنسان، ولكنهم شطّوا فيه إلى الحالة العدمية، فمثلاً، تبدو الأخلاقية (عند البوذية) وسيلة تقنية، مهمتها تدمير الذات لكل ميل متمركز حول الفرد، وكل تطلّع إلى امتلاك حياة شخصية، حتى يصل المرء إلى (النيرفان) أو (العدم المحض- الوجود الأعلى)، كما تفيض من هذه القيمة العيش مع الآخرين، يقول كانت: «الحب مبدأً والنظام أساساً والتقدم هدفاً»، ولذّة الصداقة (أبيقور)، واللذّة الأسمى؛ الإخلاص للآخرين (النفعية)، وإشراك الآخرين في الخير (أخلاقيات أمريكا)، وفاعلية العطاء وتجاوز الذات (برغسون)، والعمل المفيد للفرد وللمجتمع وللكون (وليم جيمس).

> حين تؤمن بوجود شخص لابد أن تعترف بحقه في الحياة، هكذا أيضاً حين نعترف بالله وبأسمائه، وبالشمس والأرض والحياة، فنشرع في بناء الحقوق الموضوعية

جاء في الحديث الشريف: (وهل الدين إلا الحب)، وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾، (سورة آل عمران: ٢١)، وقال:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، (سورة المائدة: ٥٤)، وقال:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لله﴾، (سورة البقرة: ١٦٥).

ب/ العدل:

ومعناه أن تُقسط للناس في حقوقهم، ولا تبخس منها شيئاً، وإعطاء كل جانب من الحياة حقه، وذلك كله انطلاقاً من قيمة الإيمان، فما دام البشر مؤمناً بالله سبحانه، وبما خلق، وبكل حق في العالم، فهو معترف بحق الناس وحرمتهم، وملتزم سلفاً بالوفاء بهذا الحق، كما هو معترف بحق جسده وروحه وعقله، وبالنسبة إلى مختلف الحاجات معترف بحقها كل بقدره، (مثلاً الطعام والشراب والسكنى والجنس والترفيه و...).

وهذه هي (العدالة) التي عدّها أفلاطون حاكمة على عالم المثل، ولا بد من تطبيقها على الأرض، عدّها أرسطو القيمة الأولى من قيمه الثلاث (بالإضافة إلى العقل والحب)، ولعلها (العدالة) هي مراد أبيقور، في الحياة المتوازنة، إذ إن التوازن بين سائر اللذّات نوع من العدالة الفردية (الاعتدال في السلوك).

ويبدو أن هوبز اتخذ من أبيقور هذه النظرة، حين دعا إلى إيجاد التوازن بين الشهوات الجزئية، كما جعلتها اليهودية الأصل الثاني (بعد طهارة القلب)، وعدّتها المسيحية أقل الواجب.

أما المذاهب الأخلاقية الحديثة، فقد أشادت بها، وإن اختلفت في تبريرها، فقد اعتقد كانت (بسيادة الغايات) وأن يجعل الإنسان إرادته متفقة مع إرادات الآخرين، والتضامن المنفعي عند (متشنيكوف) والذي عدّهُ ذروة السعادة إنما هو جانب من جوانب العدالة، والنظرات السائدة في أميركا (الواقعية)، تدعو إلى إيجاد توازن بين مختلف الحقوق والقيم (رسكو باوند مثلاً)، أما القرآن الحكيم فقد عدّ العدالة هدف الرسالات، حيث قال ربنا سبحانه:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، (سورة الحديد: ٢٥)، وقال عن العدالة حتى مع الأعداء:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، (سورة المائدة: ٨).

ج/ الحياة:

الإيمان بالله سبحانه، وبأسمائه الحسنى، يثير في الإنسان تطلّعه الفطري نحو الكمال، والتخلق بصفات الرب، والتوسل بأسمائه إليه، ومن ثَمَّ يزيده

اندفاعاً نحو التسامي، على أن حب الله وحب عباده يحفزه نحو العطاء أكثر فأكثر، كما أن العدالة تفتح الطريق أمامه للتحرك بفاعلية كبيرة.

إن هذه الحيوية، هي جوهر المذاهب الأخلاقية، التي سُمّيت بالفاعلية، وأبرزتها المزدكية (المجوسية)، حيث تمحورت فلسفتها حول دور الإنسان في إعادة الكون إلى سابق صلاحه، وأن كل فعل من أفعالنا يمكنه أن يؤثر في المعركة، حيث الخير هو ما يخدم قضية (اهورا مزدا) إله الخير، وحتى عند الأبيقورية والمذاهب التي تشيد باللذة كتبرير للأخلاق، نجد اهتماماً بممارسة الحياة. أما في اليهودية، فلعلنا نجدها في وصيتها بالصحة العامة والخلاص، أما في المسيحية فلعلها تتجلى في السياحة. أما في الإسلام، فإنها تظهر في صور شتّى أبرزها الجهاد (حيث قمة الفاعلية)، بينما كان لها نصيب وافر في المذاهب الأخلاقية الحديثة (التي سميت بالفاعلية)، فقد زعم نيتشة: أن جوهر الأخلاق يتمثل في الحيوية الفردية، وأشاد بالفاتحين أيما إشادة، وزعم راو: أن التجربة الشخصية تجعل الإنسان أقرب إلى القيم المثلى، وقد عدَّ بلونديل: الفاعلية قمة القيم، واعتقد أنها تأتي نتيجة إحساس الإنسان بالنقص، وممارسة الحرية عند سارتر (الوجودية) تعبير عن هذه النظرة.

والتقدم الذي عدّهُ الكثير (كانت مثلاً) أصل القيم وهدف القانون، هو الآخر نتيجة الفاعلية، وقد عدَّ سان سيمون: أصل القيم؛ الإخلاص للعمل الهادف، واستثمار خيرات الأرض لخير الجميع، وهو تعبير آخر عن التقدم، وقد استوحت المذاهب الاشتراكية هذه الفكرة منه، أما الفلسفة السائدة في أميركا والتي تقدس الإنتاج، فقد كانت نتيجة المذهب النفعي (وليم جيمس) ومنه الكالفانية.

وقد جاء في القرآن:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، (سورة الحج: ٧٨)، واعتبر الجهاد سبيلاً للهداية، وقال ربنا سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، (سورة العنكبوت: ٦٩)، وجعل شرط الحب الاتّباع:

﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾، (سورة آل عمران: ٣١)، وجعل الهداية إلى سبل السلام مشروطة باتّباع رضوانه، فقال سبحانه:

﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (سورة المائدة: ١٦).

ومن هنا نكتشف، أن الإسلام هو الإطار الجامع لكل القيم التي نادت بها الأديان والمذاهب الفلسفية، فلم يؤكد الإسلام على تلك القيم فحسب، وإنما قام بتنظيمها وترتيبها وبيان الأولويات بينها، وبذلك لا يمكن أن نجد فهماً ينسجم مع حقيقة الدين، إلا ذلك الفهم الذي يخلق أمام الإنسان كل فرص التكامل.

فبالقيم يتجلى الله لخلقه عبر أسمائه، فيكون كل اسم منها في الحقيقة ينبوعاً لقيم سامية تؤسس لنا فهماً لسنن الكون، ووعياً لقيم الشريعة، كل ذلك يكون متاحاً إذا اتخذنا القرآن منطلقاً وتدبرنا في آياته، فننطلق من القرآن لنشرف على الواقع، ونعود إليه في تفاعل دائم لا ينقطع، وحينئذ يكون القرآن حاضراً بما فيه من قيم في كل أبعاد وجودنا.

> بالقيم يتجلى الله لخلقه عبر أسمائه، فيكون كل اسم منها في الحقيقة ينبوعاً لقيم سامية تؤسس لنا فهماً لسنن الكون، ووعياً لقيم الشريعة

والفهم القشري الذي يفرغ الدين من محتواه، هو ذاته الفهم الذي يهمل قيم الدين وحِكم التشريع، فيتحول الدين بدونها إلى مجرد واقع فرضته الظروف التاريخية، حتى أصبح جزءاً من التقليد الاجتماعي، والفولكلور الشعبي، وهذا الحكم القاسي ليس نتاج تمرد على واقع الدين، وإنما تمرد على واقع الإنسان المسلم.

وقد عملت المذاهب الإسلامية التي ولدت في أحضان السلطة السياسية والنظم الشمولية، على تكريس حالة الوعي السلبي للإسلام، بوصفه الوعي الذي تنمو وتترعرع فيه النظم الطاغوتية، أما الوعي الذي يتحول به الإسلام إلى قيم سامية يتفاعل بها الفرد والجماعة، هو الوعي الذي يشكل قطيعة حقيقية بين الإنسان المسلم الطامح للكمال، وبين الواقع السياسي الذي يعوق مسيرة الإنسان؛ لأن قيمة العدل، والحرية، والمساواة، والكرامة .. وغيرها من القيم، تكون حينئذ هي التي تمثل الانتماء الحقيقي للإنسان المسلم.

ومن هنا، فإن فلسفة الإسلام إذا كانت هي فتح الطريق أمام الإنسان ليتكامل، فلا بد أن يكون وعينا بالإسلام في إطار القيم التي تحقق هذا التكامل.

من هنا يبدو أن التكامل الذي يمثل سبب الخلق وفلسفة الوجود، لا بد أن يكون معياراً لضبط حركة الإنسان المسلم، على مستوى السلوك وعلى المستوى العلمي والثقافي، وبهذا الشكل يتحول الإنسان المسلم إلى طاقة إيجابية فاعلة في كل ميادين الحياة، ويتحول الإسلام بكل عقائده وأحكامه وتعليماته، إلى قيم تشكل وقوداً لانطلاقة الإنسان دوماً إلى الأمام، ومن هنا لا بد أن نحقق معياراً جديداً لتقييم ما توارثته المذاهب من تصورات وأفكار، حتى يتم تقييمُها وفرزُها بناءً على مدى مساهمة هذه الفكرة أو هذه العقيدة، في توفير فرص تكامل الإنسان على مستوى الفرد أو الأمة.

الولادة: 1933 في النجف — الإستشهاد: 1982 في بغداد

"المنبر الحسيني مدرسة مجانيّة للأمّة"

● إعداد: مصطفى الصفّار

حظي المنبر الحسيني بأحد العملاقة الأفذاذ في قوة الخطاب وغزارة العلم وعمق الثقافة وأصالة الفكر، فمنح مدرسة المنبر روحاً متجدّدة، ألا وهو الخطيب الموهوب والأديب الشاعر العلامة الشهيد السيد جواد شبر، قدس سره، الذي جمع بين الخطابة والشعر والتأليف، واحتلّ موقع الصدارة في الطراز المتميّز من خطباء المنبر الحسيني؛ فقد خرج من الطور السائد، متجهاً نحو الاسلوب الحماسي المؤثر في النفوس.

● المنبر مدرسة المجتمع

ولد في النجف الأشرف ليلة السبت، في ١٣ جمادى الآخرة لسنة ١٣٢٢هـ، نشأ وترعرع في أسرة علميّة عريقة من بيوتات العلم والصلاح والشرف عُرفت منذ قرون عديدة بالسيادة والفضل، فنهَل من أبيه العلّامة آية الله السيّد علي شبّر، قدس سره، كما أخذ العلوم الحوزوية المختلفة من علماء النجف الأشرف؛ فدرس المقدمات والسطوح على يد والده السيد علي شبر، وحضر البحث الخارج في الفقه والأصول على يد السيّد أبوالقاسم الخوئي، قدس سره، وغيرهم من العلماء الفضلاء الكبار آنذاك.

اتّجه بكل طاقاته الخلّاقة وقدراته المتفوّقة إلى خدمة المنبر الحسينيّ الشريف، فخَبَر تجارب كبار الخطباء لينهل منهم فنون الخطابة الناجحة، وكانت تراوده هذه الرغبة الملحّة وهو ابن تسع سنين، حتى حقّق طموحه، ونبغ وتخصّص بها وهو في ريعان شبابه.

نُقل عن الشهيد السعيد أنّه كان يرى: «أنّ المنبر الحسيني لجميع الطبقات والفئات من المجتمع...» «وإنّه مدرسة مجانيّة للأمّة جمعاء».

أحد المواظبين على حضور مجلس الشهيد السيد جواد شبّر، يروي ان مجلسه كان يجمع بين الاسلوب الشيّق والبساطة وايضاً الحماسة الأدبية مع عطاء وافر من المعلومات للمستمعين.

● الثقافة والأدب والمنبر الحسيني

عُرف عن الشهيد السيد جواد شبّر أنه من أوائل الذين أدخلوا الشواهد الأدبية في مجالس المنبر الحسيني، مما أعطى المواضيع المطروحة رونقاً خاصاً وجذابية ونجاحاً، علماً أن الشهيد كان شاعراً موهوباً، وقد تميّز شعره بالصدق والجزل في الألفاظ والاسلوب والمعاني، كما كان مهتماً جداً بالكتاب، كمصدر علم ومعرفة ونشر للثقافة والفكر، فمن مؤلفاته: «الى ولدي»، و«المناهج الحسينية»، و«قصص من حياة الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، و«أشعة من حياة الامام الصادق، عليه السلام، ومؤلفات اخرى لا يسع المجال لذكرها، ومن أبرزها وأكثرها رواجاً حتى اليوم؛ «أدب الطف» ويقع في عشرة مجلدات، وقد جمع فيه الشهيد من عيون الشعر العربي حول واقعة الطف.

ومما تميّز به خطيبنا الشهيد إنشاؤه مكتبة تضم حوالي عشرة آلاف مجلد منها (٥٠٠) كتاب مخطوط مما هو نفيس.

● ضريبة الكلمة الشجاعة

على طريق من سبقه من شهداء الكلمة، فان الشهيد السيد جواد شبّر، لم يتردد لحظة واحدة في تقديم ضريبة هذه الكلمة، منذ الأيام الأولى لتصدّيه للفكر الملحد والتيارات الدخيلة، وتحديداً منذ عام ١٩٥٩، حيث تم تهديده بالقتل والسحل على يد من يحملون هذه الثقافة، وعندما أصدر الأمام الحكيم فتوى تكفير الشيوعية، كان ممن تولّى نشر هذه الفتوى في كل مكان.

وعندما لا يكون بوسع خطيب مثل الشهيد السيد جواد شبّر السكوت عن الظلم والطغيان، مهما كانت واجهته وسطوته وادعاءاته، فان المؤكد اصطدامه في نهاية المطاف بالسلطات البعثية مما أدى الى تعرضه للاعتقال عدة مرات، كما اعتقلوا أولاده الأربعة، وهو في السجن تم إعدام ابنه السيد حامد شبر، فيما غابت آثار ابنه الثاني؛ السيد زيد شبر، ثم أطلق سراح الآخرين.

وبعد عودته من الكويت جرى اعتقاله فتعرض للاستجواب والتعذيب، ثم أخليَ سبيله مع منعه من ارتقاء المنبر، فكان الرفض القاطع منه وتجاهل الأمر، مما أجبرهم على التراجع واشتراط أن يدعو للطاغية صدام، بيد أنه واصل طريقه الرسالي غير عابئ بتلك السلطة التي كانت ترى نفسها مريعة ومهيبة، فكان يواصل إلقاء المحاضرات والمجالس الحسينية حتى هددوه بالقتل، فلم يكترث بهم، وفي عام ١٩٨٢م اعتقلوه للمرة الثالثة، وانتهى به هذا المسار إلى غياهب السجون ولم يسمع منه خبر، وتوقع الكثير أن يكون قد تمت إذابة جسَده الطاهر في أحواض التيزاب، فقد كان مخيفاً وهو حيٌ نابض، كما كان مخيفاً لهم وهو ميت وشهيد.

فاذا لم يكن للخطيب الحسيني الثائر السيد جواد شبّر، جنازة وقبر ومزار، فانه حيٌ مضيء في قلوب المؤمنين والثائرين ابداً من اجل الإصلاح والتغيير وتحكيم القيم والمبادئ السماوية.

الغرور العلمي ومنزلقات الطغيان

● محمد رضا ماجد

﴿وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾، (سورة الرحمن: ٢٤-٢٧)

التقدم الذي حصل في العالم من الصناعات المختلفة التي وفرها الإنسان لخدمته، والذي كان منشأها الله تعالى عن طريق أنبيائه من المهن التي علمها لهم، كصنعة لبوس أو صناعة السفن أو تعلم الكتابة أو صهر الحديد أو ماشابه والتي سميت بعلوم الأنبياء، كما في السفينة التي يشير إليها القرآن الكريم {الْجَوَارِي الْمُنشَئَاتُ}، أي: السفن العالية ذات الشراع التي تسير في البحر، ما هي إلا نتيجة لقدرة الله – تعالى – التي سخرها عن طريق تحريك قدرات البشر.

● عاقبة الطغيان

ولكن طغيان الإنسان على أحكام الله عز وجل، هو من أسباب هلاكه، إذ تصيبه الغرور بنعم الله عز وجل، يخوض بها وكأنما باقية له لا تزول، بل ولا يستطيع أن يؤخر عن نفسه الموت ولو للحظات، لذا وما كفر من كفر ولا عصى من عصى إلا لتجاوز حدوده، وحده إنما هو الوقوف عند عتبة العبودية لله – عز وجل – وتوجهه للذي خلق السماوات والأرض، وفعله المأمور به وتركه المحظور، فإن رب الغزة لم يقل (كل من عليها ميت)؛ بل قال: ﴿فَانٍ﴾، لأن الموت يعبر عن حياة أخرى، وإنما الفناء هو العدم.

لذا من الأسباب لهذا الطغيان والغرور؛ التكالب على الحياة الدنيا فتأخذهم الغرور فيها، كما في فرعون الذي ظن بنفسه فضلاً على كليم الله موسى، عليه السلام، بحجة أن قوله: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ}، (سورة الزخرف: ٥١)، فتجاوز حده في الطغيان وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، (سورة النازعات: ٢٤)، وفي من يغتر بقوته كقوم عاد وقوم هود حينما قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، (سورة فصلت: ١٥)، ومن الناس من تطغيهم أموالهم كقارون الذي قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾، (سورة القصص: ٧٨)، إذ إن حكمة الله تعالى تقتضي أن يكون جزاء طغيان الإنسان من جنس عمله؛ فلما كان الطغيان علواً في الأرض بغير الحق كانت عاقبته الذلة والهوان، ولما كان غرور فرعون الملك وادعاء الربوبية والاستعلاء في الأرض، فكانت عاقبته؛ أن سلبه الله ملكه وغيبه أسفل اليم وملأ فمه طيناً ثم جعله عبرة لمن اعتبر، وقوم عاد الذين غرتهم قوتهم، فقد أخزاهم الله وأرسل عليهم جنداً من جنوده ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾، (سورة فصلت: ١٦)، وأما عاقبة قارون الذي اختال على الناس بكنوزه وأمواله وعلا بها عليهم فقد صيره الله – عز وجل – أسفل سافلين، قال الله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾، (سورة القصص:٨١)، هذا في الحياة الدنيا ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾، (سورة المائدة: ٣٣)، وأما في الآخرة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (سورة النازعات: ٣٧-٣٩).

يعود ذلك إلى ابتعاد الناس عن الحقيقة الكبرى التي دائما تغيب عن أذهانهم، من أنهم في يوم من الأيام يكون مصيرهم إلى الهلاك (الفناء)، كما تعبر الآية المباركة: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، بل وينشغلون بتوافه الأمور التي لا قيمة لها، وإنما فهم هذه الحقيقة بمعارفها الإلهية تحتاج إلى عمل دؤوب من الإنسان لكي يكون على طريق الهدى، عند ذلك تحول حياته إلى شكلٍ أفضل مما كانت عليه سابقاً قبل التوجه إلى الله تعالى، بالتوجه إليه تعالى، كما تشير الآية المباركة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، (سورة البقرة: ١١٥).

● من كان مع الله كان الله معه

لأجل ذلك نلاحظ الكثير من الناس يرغب بأن يكون مع الله! ولكن لا يجد علامة يستدل بها نحو الملكوت الأعلى، لذا رسم القرآن الكريم منهاجاً لمن يريد أن يكون مع الله سبحانه؛ فوضع ربنا في الآية المباركة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، (سورة النحل: ١٢٨)، علامتين للراغبين أن يكونوا معه تعالى:

العلامة الأولى: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أي: التقوى، وأما العلامة الثانية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، أي: الإحسان، فعندما تتلازم التقوى مع العمل الصالح؛ فإن في مابينهما تصبح علاقة جاذبية نحو القدرة الإلهية التي تقول للشيء كن فيكون..! جرب مرة بأن تتقي الله بكل ما يؤتى من مقدماته، سترى التجليات عليك من رب السماء والأرض كأنما لديك العصمة الإكتسابية، لأجل ذلك قال الإمام الحسين، عليه السلام، في دعاء عرفة: «...ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك...».

مع ذلك ليس الطغيان قاصراً على أهل الكفر والعصيان، بل قد يطغى المرء وهو من أهل الطاعة أن رأى نفسه استغنت بشيء من النعم؛ من (علم أو عبادة أو نسب، أو غير ذلك).

١- أما العلم؛ كما ذكر عن أحد العلماء الأعلام: «فأما العلم فله طغيان كطغيان المال، وهذا إن ترفع به صاحبه على من دونه ولم يزكه بالعمل به، أو إن دفعه علمه للتحايل على شرع الله وتتبع الرخص».

٢- وأما العبادة، فمن العُبَّاد من يرى لنفسه فضلاً على من هم دونه فيها ولا يراهم إلا مقصرين وكسالى، مع أن منهم من في قلبه من الإيمان أضعاف ما في قلبه هو، ومن العُبَّاد من يحسب أنه هو الناجي وحده وكل الناس هلكى.

٣- وأما النسب فالتطاول به على الناس من أمور الجاهلية التي وضعها النبي، صلى الله عليه وآله، تحت قدميه الشريفتين، وفي الحديث أنه، صلى الله عليه وآله، خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «...فالناس رجلان؛ بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب، وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، (سورة الحجرات: ١٣)».

● وسيلة القرب إلى الله

فما هي الوسيلة التي تقرب العبد إلى ربه أكثر فأكثر، والتمكن من نيل مرضاته تعالى؟

إن المسافة بين الإنسان وبين الاستجابة للوحي واتباع القيادة الرسالية مليئة بالتحديات والضغوط، ولا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها الا بزاد التقوى والإيمان التي يواجه بها أشواك الطريق.

فالملحك في ذلك هو الإيمان والتقوى؛ فالإيمان مع ولاء ديني شامل وعملي، للرسالة الإسلامية، يصوغ شخصية ربانية بعيدة عن قوالب التحزب الأعمى، والعصبية الضيقة، والقومية المحدودة، والوطنية الزائفة؛ وإيمان كهذا يصنع مجتمعا صالحا، يعمر الأرض، وينصر الضعفاء، ويقاوم الطغاة والمجرمين.

نعم؛ انه سوف يواجه ضغوط القيادات المنحرفة، والمجتمع من حوله، ولكن ليعلم ان ما يجده مع التقوى واتباع طريق الهدى خير مما يفوته من حطام الدنيا.

الذي يتقي الله ويؤمن بالرسول ينال نصيبين وحظين؛ فلا يخسر الدنيا بسبب اعتزاله المفرط عنها، ولا يخسر الآخرة بسبب الالتصاق المفرط بالدنيا.

فالإسلام منهاج متوازن يريد لاتباعه الدنيا والآخرة ﴿وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾، (سورة الحديد: ٢٨).

الإيمان والتقوى مع ولاء ديني شامل وعملي لإسلام، يصوغ شخصية ربانية بعيدة عن التحزب الأعمى، والعصبية الضيقة، والوطنية الزائفة

فيجب على كل إنسان أن يستحضر في ذهنه، لماذا جيء به إلى الحياة الدنيا؟ وما هي أهدافه الكبرى فيها؟ وما هي سنن الله الحاكمة عليه؟ فهذه التساؤلات تهدي من يريد أن يعرف إجابتها؟ وعشرات التساؤلات التي تهيّئ للإنسان طريق الهداية، ليتسنى له الوصول إلى مصدر النور وهو الوحي الإلهي، الا أننا بحاجة إلى القيادة الربانية، لأنها الأقرب إلى حقائق الوحي؛ فهي المرآة الصافية التي تعكس الحقائق بصدق وأمانة ووعي، فما أحوجنا إلى هذا النور ونحن نعيش في عالم كثرت فيه البدع، والمذاهب الضالة، ووسائل الإعلام الفاسدة والثقافة المضللة.

فالمهم ليس في ان يتحرك الإنسان أو يمشي، بل المهم ان تكون حركته في الطريق المستقيم نحو الأهداف التي خلق من أجلها؛ وذلك حينما يضيف الإنسان إلى إيمانه التقوى واتباع سبيل الحق، فإن ذلك سيطهر قلبه وسلوكه من الانحرافات والذنوب. فالتقوى تخلص نيته وتدفعه للطاعة كما تجنبه المعصية، والقيادة المتمثلة بالمعصومين، عليهم السلام، تنير له الدرب ليشق طريقه على بصيرة وهدى.

فلسفة العبادة ودورها في مسيرة تكامل الإنسان

● حسين محمد علي

لا يمكن أن نتصور الحِكمة من الخلق، بدون وجود الإنسان، وكذلك لا يمكن أن نتصور أن هناك رسالة ولا إنساناً.

فبما أن الإنسان هو محور الخلق، كذلك هو ذاته محور الرسالات الإلهية، والمحورية هنا ليست فقط كون الإنسان هو المقصود من الخطاب، وإنما هي المحورية الكاشفة عن قيمة يحققها الإنسان بذلك الخطاب.

هذا الوصف، هو الذي تنفتح به دلالات الخطاب أمام طموح الإنسان المتطلع للكمال، وعند ذلك تتحول كل التشريعات، وكل الأحكام والتوصيات، إلى محفزات تؤكد قيمة الإنسان، لا قيمة التشريعات بعيداً عن قيمة الإنسان، فالخطاب الذي يضخم قيمة التشريع، ويتجاهل تماماً قيمة الإنسان، هو الذي يقلب الحقائق ويغير المسار، وتصبح الرسالة – حينئذ – عبئاً يثقل كاهل الإنسان، والحال أن الرسالة لم تأتِ إلا لكسر القيود والأغلال التي تقف حاجزاً أمام الإنسان، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، (سورة الأعراف: ١٥٧).

● الانسان، قيمة محورية في التشريع

وهنا يمكننا تسجيل ملاحظات على مجمل الخطاب الإسلامي، أو على مستوى الوعي الديني المتاح عند الإنسان المسلم، فقد عمل هذا الخطاب – أحياناً – على استبعاد الإنسان كقيمة محورية جاءت من أجلها التشريعات، في حين أنها لا تكتسب أي قيمة بعيداً عن الإنسان، كما أن قيمة الإنسان تتحقق عبر القيم التي تؤكد عليها التشريعات، ومن هنا تنبع خطورة تهميش الخطاب الديني للإنسان كقيمة محورية، وتركيزه على التشريع بوصفه طقوساً مطلوبة لذاتها.

ولذا نجد أن الانتماء للإسلام ضمن الثقافة السائدة، لا تتجاوز تأدية الفرائض العبادية وتنفيذ هذه التشريعات، ومن ثم تتحول هذه الطقوس إلى قيمة يدور حولها الإنسان، فالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من العبادات، لا تعدو كونها – ضمن هذه الثقافة المتاحة – واجبات يثاب عليها الإنسان يوم القيامة، أما على مستوى الحياة الدنيا، فلا تشكل قيمة ملموسة على مستوى السلوك الحضاري للإنسان؛ الفرد او المجتمع.

والإسلام هو الرسالة الخالدة التي جاءت تتويجاً لجهود الأنبياء السابقين، وكون الإسلام خالداً، يدل على شمولية الخطاب وتمامية التشريع، كما أن الخاتمية تعني خلاصة ما يريده الخالق للمخلوق، وهذا النوع من التفكير هو الذي يخلق مساحة للتفاعل بين الإنسان ومضامين الدين وحِكم التشريع؛ لأنه نوع من الوعي الباحث عن مراد الله وحِكمته من خلق الإنسان ووجوده، فقيمة الإنسان في ما أراده الشارع للإنسان، وليس في ما أراده هو، فالعبادة لا تكون عطاءً من الإنسان بقدر ما هي عطاءٌ للإنسان؛ لأن معناها الحقيقي ليس سلب شيء من الإنسان، وإنما تحقيق قيمة له.

● الحرية وحقيقة العبودية لله - تعالى-

وعند هذه النقطة تتشكل مفارقة جوهرية بين قيمة الإنسان في الإسلام، وبين قيمة الإنسان في الفلسفات المادية، التي تتضخم فيها الأنا بشكل يخال الإنسان فيها أنه ربٌ للوجود! او ربما يجترّ ما قاله فرعون من قبل: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، (سورة النازعات: ٢٤)، هذه النظرة الغافلة عن حقيقة الإنسان العاجز والفقير إلى الله، لا تُكسب الإنسان إلا مزيداً من الغرور وعبادة الذات، وهي النقطة التي أوقفت حركة الانسان عندما ينظر الى نفسه بعين الرضى والكمال، بعكس عبادة الله، التي لا تجعل لعروج الإنسان حدوداً – كما سيأتي توضيحه –.

فإذا كان الكون مسخّراً للإنسان، وخطاب الإسلام يدور حول الإنسان، فأي محور يجب أن يدور حوله الإنسان؟

هذا السؤال، يقودنا – وبشكل مباشر– إلى فلسفة خلق الإنسان، وهي العبودية الكاشفة عن محورية الله لدى الإنسان، ونستشف هذا الأمر من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾،(سورة الذاريات: ٥٦)، فهذه الآية إجابة صريحة عن السؤال حول علّة خلق الله الإنسان، فالعبودية تمثل هدفاً سامياً وقيمة عليا للإنسان، فما هي العبودية؟

نحن هنا لا نحاول أن نثير البحث بشكله التقليدي، الذي يتناول تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح، ومن ثم مناقشة الآراء وترجيح الأقوال، وإنما نحاول التعرف – وبشكل مباشر– على حِكمة العبادة وحقيقتها، والفلسفة الكامنة فيها.

في البدء؛ لا يمكن أن تتضمن العبادة مفهوماً سلبياً، لا من جهة العبد ولا المعبود، لأن الله غنيٌّ بذاته لذاته، غير محتاج لخلقه: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾، (سورة محمد: ٢٨)، ثم إن الله لا ينتفع بعبادة العبد، بل العباد هم الذين ينتفعون.

ولذا يجب علينا البحث عن معنىً للعبادة يستقيم معه التوحيد، وتنسجم به فطرة الإنسان، فالعبودية في الدلالة العرفية تتناقض مع الحرية، فكيف يكون الإنسان عبداً وفي والوقت نفسه حراً؟، وهل قيمة الإنسان في عبوديته أم في حريته؟ هذه الأسئلة يمكن أن تقودنا إلى إيجاد فلسفة للعبادة يرتفع بها التناقض وتتحقق بها قيمة للإنسان.

ولكي نقترب من العبادة بالمعنى التشريعي، لابد أن نقترب أولاً من العبادة بالمعنى التكويني، بوصفها الأساس الذي تبتنى عليه العبادة في التكليف؛ فكون الإنسان عبداً باختياره، يعني بالضرورة كونه عبداً في كيانه، فلا يكون هذا التكليف حالة عرضية لم ترتكز على الطبيعة الإنسانية، وإنما القول بأن الإنسان بذاته عبد، هو تعبير آخر عن القول إن الإنسان كائن مخلوق.

وبعبارة أخرى، هل الإنسان بذاته عبد؟ أم حرّ؟

فإن كان الإنسان بذاته حراً، فتكون العبادة بالمعنى التشريعي نوعاً من أنواع مصادرة الحرية أو تحديدها وتحجيمها، لعدم وجود مبرر ذاتي يدعو الإنسان للخروج من الحرية للعبودية، إلا أن تكون هناك سلطة فوقية، فرضت الهيمنة والقهر على الإنسان، إظهاراً للسلطنة والقدرة، فتكون العبادة حينئذ حالة سلبية بامتياز، على مستوى العبد والمعبود.

فعلى مستوى العبد لا تعدو كونها تحجيماً لمقدراته وتحديداً لإمكاناته، والأمر واضح على مستوى المفارقة العرفية، التي تميز بين العبد المملوك لسيده وبين السيد الحر، أما على مستوى المعبود، فإنها تكشف وبشكل ما، عن حاجته ونقصه – وحاشا لله من ذلك – التي دعته إلى فرض الهيمنة والسلطنة، ومصادرة حرية الإنسان.

أما القول الآخر بأن الإنسان بذاته عبد لله تعالى، فإنه يرتكز على حقيقة الإنسان المخلوق، وهذا الوصف هو ذاته الذي يحقق معنى العبودية؛ فإذا تحقق الخلق، فلا يحتاج الأمر إلى مرحلة ثانية تتحقق فيها العبودية التكوينية، فالمخلوق معلق دوماً بخالقه، والموجود محتاج إلى موجده، بحيث يكون مُضطراً في بقائه إليه، وتلك العلقة الاضطرارية هي نفسها العبودية.

وتأتي من طبيعة هذه المقابلة العميقة؛ حقيقة (الحاكمية) المطلقة لله سبحانه على البشر جميعاً، كما تتحقق طبيعة (المحكومية) الشاملة للإنسان، بحيث يفرض عليه العقل والضمير أن يخضع لله في كل شؤونه، وألا يعمل إلا بما يوحيه إليه سبحانه، ويلزمه في حقلي الدنيا والآخرة سواء بسواء، ذلك لأن مجرد تصور (المالكية الإلهية)، و(العبودية البشرية)، كاف

> الحد المشترك الذي يجمع بين كيان الإنسان المضطر في عبادته لله وبين الحرية، هي؛ المسؤولية التي تعني أن تتحرك الحرية فيما ينسجم مع الطبيعة التكوينية للإنسان

لإيحاء فكرة العبادة والخضوع أمام الله تعالى، إذ الفكرة هذه ليست إلاّ تعبيراً عن تلك الحقيقة.

والحرية بهذا الفهم لا يمكن أن تكون تأسيساً لخيارات تبتعد عن حقيقة العبودية؛ فالحد المشترك الذي يجمع بين كيان الإنسان المضطر في عبادته لله وبين الحرية هي؛ المسؤولية، والمسؤولية تعني أن تتحرك الحرية فيما ينسجم مع الطبيعة التكوينية للإنسان؛ لأن الحرية ليست مطلق الترجيح بين الخيارات، وإنما الحرية هي ترجيح الأصلح الذي ينسجم مع طبيعة الإنسان العابد بكيانه لله، وإلا تكون الحرية عقبة حقيقية في مسيرة الإنسان التكاملية؛ لأن بإمكان الإنسان أن يختار بحريته السير عكس اتجاه السنن الكونية.

قيمة الإنسان تتحقق عبر القيم التي تؤكد عليها التشريعات، ومن هنا تنبع خطورة تهميش الخطاب الديني للإنسان - أحياناً - كقيمة محورية، وتركيزه على التشريع بوصفه طقوساً مطلوبة لذاتها

• غاية العبادة التكامل

وبهذا بدأنا نقترب من معرفة حكمة العبادة، فإذا بدأنا بالآية القرآنية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، وجدنا أنها تشير للعبادة على مستوى التشريع وليس التكوين، وهي ترسم بذلك فلسفة خلق الإنسان وحِكمة وجوده.

وإذا تمعنا فيها، نجد أن هناك مقابلة بين كلمة الخلق وكلمة العبادة، فإذا عرفنا عمق معنى كلمة الخلق، نعرف عمق معنى كلمة العبادة، وذلك لأن العبادة جاءت كنتيجة طبيعية لخلق الإنسان، فمتى ما كان هناك خلق، كانت هناك عبادة، فكأنها لازم ذاتي لا تنفك عن الخلق، ومن المعلوم أن كلمة الخلق لها معانٍ، فأي معنى من معاني الخلق يمكن أن يقابل مفهوم العبادة، أو يحقق مفهوم العبادة؟

هنالك ثلاثة معانٍ للخلق:

المعنى الأول: أن الخلق أمر واقعي وليس وهماً وخيالاً، بخلاف المدارس السفسطائية والمثالية التي شككت في حقيقته، فالموجود حقيقة متمثلة في الخارج، وأقرب طريق إلى معرفته هو التنبه إلى واقع وجوده، والاعتراف بأن للإنسان كياناً وحقيقة، وهو بداية تأسيس قيم حياتية تؤكد حق الإنسان في الوجود.

المعنى الثاني: أن كيان الإنسان ووجوده قائم بالله، مما يعني أن وجوده حقيقة طارئة، تحتاج دوماً في وجودها إلى الموجد، ونستفيد من هذا المعنى، العبودية بالمعني التكويني، بشكل أوضح من المعنى التشريعي.

المعنى الثالث: أن الإنسان ما دام مخلوقاً، فهو لا يزال ناقصاً، يعيش حالة من الضعف: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾، (سورة الروم: ٥٤)، والشعور بالضعف والفقر والحاجة، هو بداية السعي لإكمال النقص، لأن الذي خلقه من لا شيء، قادر على أن يزيده كمالاً، ويبارك له في قدراته: ﴿وَاسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾، (سورة النساء: ٣٢)، والطريق إلى إكمال النقص هو الرجوع إلى الله تعالى، والطلب منه والتقرب إليه سبحانه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، (سورة غافر: ٦٠)، وهنا ربط واضح بين الدعاء والعبادة، وبين طلب الحاجة والاستجابة، والحاجة دليل النقص، والاستجابة إكمال للنقص.

وكل هذه المعاني تحقق مفهوم الخلق (وما خلقت)، فيمكن أن يقال: الخلق هو هذا الذي تراه ماثلاً أمامك، أو؛ الخلق هو الحقيقة التي تحتاج إلى خالق، أو؛ الخلق هو الناقص الذي بإمكانه أن يتكامل.

بعد أن نحقق هذه المعاني، نجد أن المعنى المقابل للعبادة هو المعنى الثالث، وهو أن الموجود قابل للنمو والتكامل، فتصبح حقيقة العبادة: تكامل الإنسان والعروج به في مدارج الكمال، فإذا كان الإنسان يمثل محور الخلق، وكان تكامل الخلق من أجل الإنسان، فلا بد أن يكون للإنسان تكامل خاص، وهذا سر دعاء الأنبياء والرسل للعبادة، لأنها الطريق الذي يحقق للإنسان تكامله، بعد ربطه بالله مصدر كل كمال، فمعرفة الله سبحانه تعني معرفة الأسماء التي هي عناوين الكمال، فمن اسم العليم تتحقق قيمة العلم، ومن اسم القدير تتحقق قيمة القدرة، ومن اسم الرحيم تتحقق قيمة الرحمة، ومن اسم الكريم تتحقق قيمة الكرم ... وهكذا؛ كما أن هذه الأسماء هي ذاتها الطريق الذي يحقق العبادة: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، (سورة الأعراف: ١٨٠).

وبذلك، تصبح غاية العبادة هي التكامل، الذي يسعى إليه الإنسان، فإذا كانت فلسفة الإسلام هي العبادة، وفلسفة العبادة هي التكامل، فتكون فلسفة الإسلام هي التكامل، وهنا تنسجم فلسفة الرسالة الداعية للعبادة مع فلسفة الخلق الداعية للتكامل؛ لأن العبادة هي التعبير الآخر عن التكامل.

وبهذا نكون قد رسمنا الخريطة العامة لفلسفة الدين والرسالة، فكل عقيدة يعتقد بها المسلم، أو كل حكم يتعبد به، أو كل شعيرة يتقرب بها، لا بد أن تكون موصلة لهذا التكامل، ودافعة لكل معوق للمسيرة، فكل مذهب يعتقد بما هو ليس بمحقق للكمال، لا يعدّ تمثيلا صادقاً للإسلام.

أسطرلاب

• الشيخ حيدر العامري

الصحة والسلامة

• هل تعلم أن كأس من الماء قبل النوم يقلل من السكتة القلبية؟

• هل تعلم أن كأس من الماء قبل الاستحمام يساعد على خفض ضغط الدم؟

• هل تعلم أن شرب كأسين من الماء بعد الاستيقاظ من النوم يساعد على تنشيط الدورة الدموية؟

• هل تعلم أن الخيار يقتل البكتيريا المسببة لرائحة الفم، فكل ما عليك فعله هو وضع شريحة من الخيار ملاصقة لسقف الفم لمدة ٣٠ ثانية ستجد رائحة انتعاش الفم؟

• هل تعلم أن راحة الجسم في قلة الطعام؟

• هل تعلم أن الخس يحتوي على كمية كبيرة من الكالسيوم أكثر مما موجود في كوب الحليب؟

الصلاة

• هل تعلم عند قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة الصبح، تجعل الفاصلة بينك وبين الجنة؛ الموت فقط؟

تنبؤات علمية

• هل تعلم أن الاستنشاق المستحب خلال الوضوء يقتل فيروسات خطيرة في ناصية الرأس تؤدي أحياناً الى صداع شديد، وربما تؤدي بالمصاب الى الموت؟! وقد ذكر أحد علماء الدين الكبار، أن طبيباً غربياً أجرى فحوصات على مريض توفي بمجرد صداع في رأسه، واكتشف أن الفيروس المجهري الموجود في دماغه لا يموت إلا بقطرات الماء التي يستنشقها الانسان المؤمن أثناء وضوئه، فيسحبها بأنفه الى الأعلى فتكون بمنزلة المضاد الحيوي لسلامة الدماغ؟

معلومات عامة

• هل تعلم أن الحوت الذي ابتلع يونس، عليه السلام، هو على قيد الحياة إلى الآن! لدليل قوله تعالى: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، (سورة الصافات: ١٤٤)؟

• هل تعلم أن القبعة التي يرتديها خريجو الجامعات ابتكرها العرب المسلمون بالأندلس لوضع المصحف فوقها لتطبيق قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، (سورة يوسف: ٧٦)؟

• هل تعلم أن (العقال) كان يُلبس من أيام الأندلسيين وكان أبيض وصار أسود حزناً على فقدان الأندلس، بل إنهم أقسموا أنهم لن يخلعوا هذا العقال حتى يستردوها؟

• هل تعلم أن بالعطاس تتوقف كل أعضاء الجسم عن العمل ثم تعاود العمل، وكل هذا يتم في ثوانٍ، والحكمة من قول: «الحمد لله» بعد العطاس رجوع الأعضاء للحياة؟

• هل تعلم أن راية الإمام المهدي، عجل الله فرجه، هي من ورق الجنة، وهي راية رسول الله، صلى الله عليه وآله، نزل بها جبرائيل يوم بدر؟

* هو آلة فلكية قديمة وأطلق عليه العرب ذات الصفائح، وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية، وهو يظهر كيف تبدو السماء في مكان محدد عند وقت محدد.

كيف يحمي العلماء أنفسهم؟!

• محمد هادي علم الدين

القدرات العسكرية والشركات العالمية الضخمة وأجهزة المخابرات ومؤسسات الأعلام وغيرها، توحي للناس في كل مكان أن رجل السلطة والحكم الذي يمتلك عوامل القوة هذه، ولو بدرجات متفاوتة، هو وحده القادر على التأثير على حياتهم وتوجيهها بالشكل الذي يريد؛ فهذا الوجه الاول للصورة، أما الوجه الآخر؛ فهو العلم والمعرفة وأصحابها، إذ لولا العلم ومسيرة تطوره، لما كانت لعناصر القوة تلك، التأثير الذي تتبجح به اليوم، إنما القضية في عامل الإثارة والتحكّم الآني في الحياة، ولعل هذا يفسّر ظاهرة الاحترام والتفخيم لصاحب مصنع او شركة تجارية او ضابط عسكري كبير، اذا كان يسير في الشارع او في مجلس من المجالس، بينما التجاهل يكون من نصيب عالم كبير في الكيمياء او الهندسة او اللغة، مهما بلغت درجته العلمية وكانت الحاجة اليه ضرورية.

ولمعرفة الانظمة السياسية في معظم بلاد العالم بحقيقة المكانة التي يحظى بها العالم في البناء الحضاري وفي مصير الدولة والمجتمع، فإنها تسعى دائماً لإبعاد العالم عن الأضواء وعن أعين الرأي العام أولاً؛ ثم محاولة توجيه القدرات العلمية نحو مسارات ربما تبتعد عن الأهداف النبيلة والإنسانية.

ولأجل ذلك نرصد صراعاً عنيفاً وخفياً في آن، بين أهل العلم وأهل السلطة على مر التاريخ، وأين ما نقرأ عن ظهور جبابرة وطغاة، نرى ظلال علماء السوء بالقرب منهم، وأين ما نقرأ عن حروب كارثية رهيبة، مثل الحرب العالمية الأولى وبعدها الثانية، وحتى الحروب الضروس التي تطحن الملايين في عالم اليوم، علينا رصد بصمات العلماء على التقنيات المذهلة في الطيران الحربي والأسلحة الموجهة بالليزر والدبابات والمدرعات ومختلف اشكال القنابل ومعدات الاتصال والهندسة العسكرية وغيرها.

بالمقابل، أين ما نقرأ عن ثورات تحررية كبرى في العالم قصمت ظهور قوى عالمية وأطاحت بأنظمة سياسية عتيدة، لابد أن نرى الطليعة العلمائية في مقدمة هذه الثورات، فقد أعطت من علمها ومعرفتها وثقافتها لجموع الطامحين الى الحرية والكرامة ففعلوا المستحيلات، كما حصل في الهند مع غاندي، وفي عراق ثورة العشرين مع الامام الشيرازي، وفي ايران مع الامام الخميني الراحل، والأمثال عديدة في هذا المجال.

كل هذا يضع العالم في الدين والدنيا على المحك في مواجهة مفتوحة؛ إما غالب أو مغلوب؛ إما الانتصار للعلم ثم الانتصار لطموحات الأمة والغايات النبيلة والسامية، وإما الهزيمة أمام السلطة والتحول الى عربة تجر موتى الحروب والمعارك الأهلية والخارجية.

هنالك عدة مخارج للعالم الى سبيل النجاة بنفسه وبعلمه وتحقيق الاستقلال المنشود للعالم بعيداً عن ضغوط الحكام ومصالحهم، منها:

أولاً: العلم قيمة اجتماعية

اذا اكتسب العلم قيمة ذاتية ثم اجتماعية، بإمكانه ان يكون محور استقطاب قدرات الجماهير بدلاً من المال والسلطة.

وقد اتفق معظم المفكرين على أن العلم وحده، هو الذي يحدد قيمة الانسان وليس المال، وإنما أكد الإسلام على العلم كمحور لحركة الانسان في الحياة، كون الحضارة البشرية قائمة على قاعدة العلم، ولذا منح الإسلام العلم قيمة اجتماعية رفيعة ليكون العلم والعلماء هم محور استقطاب المجتمع، بعيداً عن تأثيرات وضغوطات الثروة والقوة.

لقد استفاد الشعب الياباني من هذه المعادلة بالوقوف صفاً واحداً الى جانب العلم، فظهر الإبداع والتطور التقني المذهل الذي حيّر العالم، علماً أن اليابان، كبلد، يُعد من البلدان الفقيرة من حيث الثروات المعدنية، بيد أنهم حولوا فقرهم هذا الى غنىً بمنح المعلم في المرحلة الابتدائية، حقوقاً تساوي حقوق الوزير في الدولة!

وهذا يعني – مما يعنيه – مكافحة الأمية والتخلف من الجذور وبشكل قاطع من بنيان المجتمع، ولطالما دعا الإسلام الى ذلك، وحثّ النبي الأكرم والأئمة المعصومون، عليهم السلام، على أن يكون هذا من نصيب المسلمين ولا يسبقهم اليه غيرهم.

وفي هذا الاتجاه، وردت أحاديث كُثر عن قيمة العلم في حياة الانسان والمجتمع، ففي أحدى وصايا النبي الأكرم لأمير المؤمنين: «يا عليّ؛ لا فقر أشد من الجهل»، ويمثل الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله العلماء كنجوم السماء يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، يقول: «ان مثل العلماء في الارض كالنجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فاذا طُمست أوشك أن تضل الهداة».

ثانياً: العلم والنزاهة

عندما يكون للعلم كل هذا التأثير على الحياة، نعرف أن النزاهة يجب ان تتجه الى العلماء قبل الحكام، لأن «اذا فسد العالِم فسد العالَم»، ولعل هذا يفسّر الحكمة من تقديم التربية على التعليم في مسمّى الوزارة المختّصة بهذا الشأن.

فعندما ينحني الطالب الجامعي أمام إرادات الحكومات وأصحاب الشركات التجارية الكبرى او مصانع السلاح، فانه بذلك يبيع علمه ومواهبه وذكاؤه لأصحاب مصالح شخصية ربما تكون على حساب صحة وسلامة الملايين او حتى على حساب حياتهم.

من أجل ذلك أكدت النصوص الدينية على ضرورة نظافة نوايا ودوافع طالب العلم، بأن طلب العلم عنده لوجه الله – تعالى– وحينما يكون كذلك، من الطبيعي أن يتجه علمه نحو خدمة أبناء شعبه وأمته، فالله – تعالى– يأمر بالعدل والإحسان، فالفطرة السليمة والضمير الحيّ والقلب النظيف يدفع العالم، بأي اختصاص كان، لأن يكون في خدمة الانسان لا في ضرره.

ولعلنا نكون أمام لوحة رائعة تحمل أصناف أهل العلم، رسمها أمير المؤمنين، عليه السلام، في حديثه المروي عن طلاب العلم واختلاف أحوالهم:

«طلبة هذا العلم على ثلاثة أصناف، ألا فاعرفوهم بصفاتهم وأعيانهم: صنف منهم يتعلمون للمراء والجهل، وصنف يتعلمون للاستطالة والختل، وصنف منهم يتعلمون للفقه والعقل. فأما صاحب المراء والجهل، تراه مؤذياً مارياً – مجادلاً – للرجال في أندية المقال، قد تسربل بالخشوع وتخلّى عن الورع، فدقّ الله من هذا حيزومه – أي قصم ظهره – وقطع منه خيشومه – أي أرغم أنفه –. وأما صاحب الاستطالة والختل، فانه يستطيل على أشباهه من أشكاله، ويتواضع للأغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله من هذا بصره وقطع من آثار العلماء أثره. وأما صاحب الفقه والعقل، تراه ذا كآبة وحزن، قد قام الليل في حندسه خائفاً وجلاً من كل أحد إلا من كل ثقة من إخوانه، فشدّ الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه».

ثالثاً: التمايز عن علماء السوء

للأمم تجارب مريرة مع علماء السوء الذين باعوا علمهم بأبخس الأثمان لقاء وصلة الحاكم والحصول على حفنة من الاموال او بلوغ المرتبة الأعلى إرضاءً لنزعة الاستعلاء والشهرة. لذا فان الاسلام يشن حملة عنيفة ضد علماء السوء ويحذرنا من مغبة انتشارهم وتكرار تجاربهم مع الشعوب والأجيال.

> أكدت النصوص الدينية على ضرورة نظافة نوايا ودوافع طالب العلم، بأن طلب العلم عنده لوجه الله - تعالى- وحينما سيكون نحو خدمة أبناء شعبه وأمته

ولفضح علماء السوء وتعريتهم أمام الناس، يعطي الإسلام للمجتمع قيماً ثابتة وواضحة يستطيعون عبرها التعرف على علماء السوء، بغية تمييزهم عن الصالحين، ومن ثم طردهم من الساحة نهائياً.

والقرآن الكريم يضرب لنا أمثالاً تاريخية لعلماء السوء، فسمّى بعضهم «كلباً»، وآخر «حماراً»!، يقول الله – تعالى– عن بلعم بن باعورا، العالم المعروف في بني إسرائيل صاحب الإسم الأعظم، الذي استخدم علمه لضرب نبي الله موسى، عليه السلام، ورسالته: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

(سورة الأعراف: ١٧٥–١٧٦)

ولكن؛ من هم علماء السوء؟ وكيف نعرفهم بشكل محدد؟

تقدم لنا السنّة الشريفة ثُلة من الاحاديث تهدف ذات الهدف القرآني وهو فصل علماء السوء عن المجتمع وتحذيره منهم، ففي الحديث عن الامام علي، عليه السلام، أن رسول الله، صلى الله عليه وآله قال: «العلماء رجلان؛ رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهو هالك، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وإن أشدّ أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله – عزّوجل – فاستجاب له وقبل منه، فأطاع الله فأدخله الله الجنة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى». ثم قال عليه السلام: «ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خصلتان؛ اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، وطول الأمل ينسّى الآخرة».

فالإمام، عليه السلام، يشير هنا الى السبب الذي يدعو العالم الى ترك علمه، وهو اتباع الهوى وطول الأمل، فالعالم الذي يعلم أن الموت وراءه، لا يفكر ابداً بالانحراف. ولا ننسى أن الهلاك والدمار الذي يسببه العلم المنحرف عن هدفه النبيل، لن يستثني العالم، مهما ضمن لنفسه الامتيازات والقرب من السلطة والحكم، وربما تكون عاقبته أدهى وأمر لأنه سيكون لعنة التاريخ والأجيال.

الزهراء تطلق حرب الكلمة ضد الانحراف

هل يغير خطاب المرأة واقع الأمة؟

● إيمان عبد الأمير

ما حصل في الساعات الأولى من رحيل النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، الى جوار ربه، لم يكن بالأمر الهيّن، ليس وفق المقاسات السياسية وحسب، وإنما وفق المقاسات الحضارية، بأن تقوم مجموعة من الأشخاص بتدبير ما يشبه الانقلاب العسكري للاستيلاء على الحكم لدولة مثل الدولة التي أنشأها النبي الأكرم، والتي قال أقر المفكرون والعلماء في الغرب على أنها أبرز نقطة مضيئة في تاريخ البشرية.

الامام علي، عليه السلام، كان مأموراً بالصمت وعدم اتخاذ ما يؤدي الى انزلاق الأمة نحو الحرب الأهلية، فبقي الميدان مفتوحاً أمام الصديقة الزهراء، عليها السلام، بأن تنهض لوحدها بهذا الدور التاريخي والاستثنائي وتقف بقوة أمام محاولة تقمّص الخلافة والشرعية الدينية وكشف زيف أدعياء الدين.

● سرعة المبادرة

في أجواء ملبّدة بالتآمر والخديعة، وأمام نفوس شحيحة على الخير، مشحونة بالنفاق والحقد والعصبية الجاهلية، كان لابد من سرعة المبادرة للوقوف أمام هذا الانحراف الخطير الذي لا يدرك أبعاده سوى شخصية مثل الزهراء وايضاً بعلها؛ أمير المؤمنين، بيد أن السؤال عن السبب الذي يدفع امرأة لأن تتصدى لهذا الدور، فهل كانت الزهراء، عليها السلام، تبحث عن بطولة أمام الرجال – حاشاه من ذلك –؟! أم أن القضية – كما يتصور البعض – مقتصرة على حق شخصي في أرض فدك، أو حتى المطالبة بالحكم لبعلها أمير المؤمنين؟

إن هذه المطالبات وغيرها – وهي مشروعة وحقّة لا شك – كانت ضمن حملة الزهراء على ذلك الانحراف، بيد أن الغاية القصوى كانت أبعد بكثير من علائق دنيوية تسمو عليها الصديقة الطاهرة، وهو الذي دفعها لأن تخوض غمار هذه المواجهة لتسجّل أول حضور لأهل البيت، عليهم السلام، في معركة الدفاع عن الدين والقيم السماوية.

فما الذي كانت تخاف عليه الزهراء في هذه المعركة، وقد أقتنع معظم المسلمون آنذاك، بأن الذين يحكمونهم بعد النبي، يُعدون «خلفاء»؟

للإجابة على هذا السؤال لابد من الإشارة الى قاعدة منطقية:

يقول الفقيه الراحل آية الله السيد محمد رضا الشيرازي – قدس سره – بأنه «في المنطق هنالك بحث حول البراهين اللّمية، والبراهين الإنيّة؛ البرهان الإنّي هو أن ننتقل من المعلول إلى العلة، أي عندما نلاحظ الدخان ننتقل من وجود الدخان إلى وجود النار؛ فهذا يُقال له «البرهان الإنّي» أو ربما هذا أحد فردي البرهان الإنّي، حيث يتم تقييم الفكرة من خلال نتائجها ، وما ولّدته الفكرة في الواقع العملي، حينئذ نحكم على الفكرة أنها باطلة أم حقّة، فيما يقيّم بعض المفكرين – وليس كلهم – الأفكار من خلال ذاتها، ولكن الطابع العام في المجتمعات هو تقييم الفكرة من خلال نتائجها».

انطلاقاً من هذه القاعدة والحقيقة نعرف أن الصديقة الزهراء، سلام الله عليها، تحركت من وحي معرفتها الدقيقة بنفوس الناس وطريقة بناء أفكارهم وقناعاتهم، فقراءة الأمور ومجمل قضايا الحياة من نتائجها أقرب الى الذهنية العامة للمجتمع والأمة، فاذا مضت الأيام على وجود على وجود أولئك الأدعياء في مقام «الخلافة» وقد وصلوا اليها بتلك الطريقة البشعة والدكتاتورية، فانهم سيبنون أفكارهم في قادم الأيام على كون الإسلام دين العنف والمال والجاه، ومن يريد الحكم عليه أن تتوفر لديه هذه المواصفات.

والتاريخ لم يغضّ النظر عما جرى لسعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج عندما اعترض على أمر السقيفة، فكان جزاءه الركل والرفس بكل وحشية، وقال أحدهم (...): « طؤوه»!! فأشبعوه ركلاً ورفساً في بطنه حتى ألمّ به المرض الشديد اثر الآلام المبرحة ومات بسببها، ولم يطلب شيئاً سوى أن قال: «منّا أمير ومنكم أمير»، بما يعني المطالبة بحق الأنصار بأن تكون لهم كلمة ودور في مصير خلافة رسول الله، صلى الله عليه وآله.

طبعاً؛ الحكام الثلاثة التي توالوا على خلافة النبي، مارسوا عملهم وأمضوا سنوات حكمهم بما يشهد له التاريخ من أعمال تزييف وتحريف للقيم والمبادئ التي ضحى من أجلها رسول الله والأجلاء من أصحابه وأهل بيته، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، أو يعود الحق الى أهله، وإنما نفّذ الأمويون ما كانوا يخططون له منذ تلك الأيام العصيبة، وهو تحويل «الخلافة» الى ملك عضوض يتوارثه بنو أمية، ثم جرت السنّة السيئة على يد بني العباس، ومن بعدهم بني عثمان (العثمانيون)، ولكن؛ تلك الصرخة المدوية التي انطلقت بوجه الأدعياء هي اختطت في الارض الطريق الصحيح للوصول الى الإسلام الحقيقي بسماته المعروفة؛ من عدالة وسلام وحرية، ولعل ما ذكره سماحة الفقيه الراحل السيد محمد رضا الشيرازي – قدس سره – في إحدى محاضراته حول شخصية الزهراء، يكون خير مصداق لما نذهب اليه، عندما وصف تحرك الصديقة الزهراء بأنه ضمن للإسلام بأن لا يكون مثل الديانات الأخرى في العالم، مثل المسيحية واليهودية؛ تحمل الشكل دون المضمون، ومجرد طقوس لا علاقة لها بحياة الناس.

> غياب الخطاب التربوي في شخصية المرأة، وحضوره القوي جداً في المحافل السياسية والمهنية، جعل منها مجرد صوت عالٍ ضمن الأصوات العالية في الساحة

● سلاح الزهراء

انطلاقاً من الحديث المأثور عن رسول الله، صلى الله عليه وآله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، وإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». وهكذا انطلقت الصديقة الزهراء، عليها السلام، في نهضتها الإصلاحية الرائدة بما تملك من القدرة المتناسبة مع تكوينها الفسيولوجي، فهي في عيون أبناء مجتمعها آنذاك، كانت كإحدى النساء، وهي ابنة ثمانية عشر سنة، ومعروف عن أهل البيت، عليهم السلام، اعتمادهم قانون الأسباب في الحياة، ولم يكونوا يوماً من أهل المعاجز والأفعال غير الطبيعية لتنفيذ ما يريدونه، مهما كانت الحاجة الى ذلك شديدة، لذا نجد التضحيات الجسام وتحمّل شتّى صنوف الضغوط النفسية والآلام والمحن.

لذا كانت الكلمة، سلاح الصديقة الزهراء، عليها السلام، به خرجت من بيتها لأول مرة في حياتها وبتلك الحالة، وبه بينت للناس من هم...؟! ومن أين؟! والى أين؟! ولمن يراجع الخطبة البليغة والصاعقة المعروفة بـ «الفدكية» ويتدبر فيها، يجد المعارف الواسعة والمعاني العميقة التي حفظت بها الإسلام وحصنت به الأجيال القادمة من الانحراف الفكري والعقدي، وأن يعرفوا حق المعرفة الموازين الحق التي يزنون بها الأمور، وبعد مقدمة عقائدية، توجهت الى الحاضرين في مسجد النبي بالقول: «أَنْتُمْ اللهَ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إِلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقَّ لَكُمْ لله فِيكُمْ، عَهْدَ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةُ اسْتَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ الله النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةُ بَصائِرَهُ، مُنْكَشِفَةُ سَرائِرَهُ، مُنْجَلِيَةُ ظَواهِرَهُ، مُغْتَبِطَةُ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدَ إِلى الرِّضْوانِ اتِّباعُهُ، مَؤَدٍّ إِلى النَّجاةِ إِسْماعُهُ...».

ثم تطرقت المآل السيئ الذي بلغوه

الذي كانت تخاف عليه الزهراء في هذه المعركة، قناعة معظم المسلمون آنذاك، بأن الذين يحكمونهم بعد النبي، يُعدون "خلفاء"؟

بسبب ضعف الإيمان وخور العزيمة ومصادرة الحريات والإرادة. فقالت منبهة: «أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنّي فاطِمَةُ، وَأَبي مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُما أَفْعَلُ شَطَطاً: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فَإِنْ تَعْزُوهُ وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأَخا ابْنِ عَمّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلى الله عليه وآله. فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إِلى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الْأَصْنامَ، وَيَنْكُثُ الْهامَ، حَتّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوُا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ، وَطاحَ وَشِيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيضِ الْخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقَبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الْأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ﴾، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله».

• لسان المرأة و دوره المصيري

هكذا نجد الصديقة الزهراء، عليها السلام، لا تطالب الناس بالتضامن معها لاستعادة حقها المسلوب من أهل السلطة والحكم، وإنما كانت مذكرة ومبلغة ومنذرة، بما أوتيت من البلاغة والفصاحة والمنطق السديد، وكيف لا تكون كذلك؛ وهي ربيبة خاتم الأنبياء، وقد قال بحقّها النبي الأكرم: «يرضى الله لرضى فاطمة .....».

وهذا يفتح الباب واسعاً أمام بنات حواء على مر الأجيال لأن يستفدن من هذه الموهبة الإلهية (اللسان) في التعبير عن رأيها والمطالبة بحقوقها، والأهم من ذلك ممارسة دورها الحضاري العظيم، المتمثل بتربية النشء الصالح بأحسن الألفاظ وأحكم العبارات والكلمات التي تكون كمثل اللبنات القوية والأصيلة في البناء الضخم، فاذا كانت المواد الإنشائية للبناء غير مطابقة للمواصفات الجيدة، فإنها ستكون مصدر خطر داهم على مستقبل البناء، سواءً كانت برجاً شاهقاً أو حتى بيتاً صغيراً.

وقد أشار علماء الاجتماع الى عامل الأسرة والأبوين في تربية الطفل، الى جانب عوامل الوراثة والمدرسة وغيرها، مما يضع المرأة، وتحديداً الأم أمام مسؤولية خطيرة في البحث عن أفضل الطرق لإيصال الكلمة الصحيحة الى الطفل بما تزرع فيه بذور الخير والفضيلة والاستقامة.

وطالما وجدنا عوائل في محيطات متدينة ومحافظة، بيد ان الملاحظ من النتاج التربوي؛ أطفال وشباب تتناقض سلوكهم وتصرفاتهم وحتى أفكارهم مع القيم الدينية والأخلاقية، وعندما نغوص في الأسباب، نجد أن الطرح في منهج التربية غير سليم ولم يعتمد المنطق والدليل، ويراعي الجوانب الإنسانية والمشاعر الكامنة لدى الطفل، بينما نلاحظ هذه المواصفات متوفرة في مصادر تربوية أخرى، مثل بعض القنوات الفضائية ومواقع الأنترنت وبعض المؤلفات الأدبية والثقافية التي تلتزم بالمنهج العلمي وتراعي الحالات النفسية للانسان، مما يجعل الطفل والشاب يعد هذه المصادر الملجأ الوحيد لنشأته الفكرية ومصدراً للمعرفة والثقافة.

إن غياب الخطاب التربوي في شخصية المرأة، و حضوره القوي جداً في المحافل السياسية والمهنية ، جعل من المرأة مجرد صوت عالٍ ضمن الأصوات العالية في الساحة، وربما يتخذها البعض وسيلة للتنافس السياسي والصراع على النفوذ والمصالح، حتى وصل الأمر الى أن يُغرر بالبعض من النسوة ممن بلغن مستوى من الكفاءة العلمية من خلال الدراسة الأكاديمية، بخوض غمار السياسة بشكل مقرف وممجوج وغير متوازن على أنها صاحبة حق في هذا الجانب، وعليها أن تكون جنباً الى جنب مع الرجل في المحافل السياسية ولا تتخلف عنهم في المقاعد الأمامية وعلى منصات الخطابات والظهور الإعلامي، كأن تكون نائبة في البرلمان او مديرة مؤسسة حكومية او وزارة او غير ذلك، مع إن هذه المناصب ليست مقتصرة على الرجل بأي حال من الأحوال، لكن؛ أن تكون المرأة واجهة لهذه الجماعة او ذلك الحزب مستخدمة أداة النطق والكلام الذي وهبها إياها رب العزّة والجلالة لما فيه خيرها وخير المجتمع والأمة، فهذا عين التضليل والتغرير وتزييف الحقائق المتعلقة بشخصية المرأة ودورها الطبيعي الذي رسمته لها رسالة السماء.

قل لا أسألكم عليه أجراً

تأملات في دعاء العهد

• طلب الرجعة عند ظهوره، عجل الله فرجه، للفوز بنصرته

• ماجد الصفار

مازلنا في سياق دعاء العهد وما يتضمنه من إضاءات جديرة بالتأمل في فقراته المباركة، وصل بنا المقام في الحلقة الماضية بعنوان: «بيعة الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه»، عند الفقرة: «اللّهُمَّ إِنّي أُجَدِّدُ لَهُ...»، في ترسيخ روح الطاعة عند الفقرة: «اللّهُمَّ اجْعَلْني مِنْ أَنْصارِهِ وَأَعْوانِهِ...».

واستمراراً لما قدمناه آنفاً، نشرع في الفقرة التالية، في «طلب الرجعة عند ظهوره، عجل الله فرجه، للفوز بنصرته»، عند الفقرة: «اللّهُمَّ إِنْ حالَ بَيْني وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذي جَعَلْتَهُ عَلى عِبادِكَ حَتْماً مَقْضِيّاً...».

ذُكرَ في المقاطع السابقة من دعاء التوسل الصادر عن الإمام الصادق، عليه السلام، المتوسل بالله – تعالى– بأن يجعلنا من أنصار الامام المهدي، عجل الله فرجه، واعوانه، ومن ثم المستشهدين بين يديه، فيما لو أدرك القارئ افتراضاً، بأنه سوف يدرك عصر ظهوره، عجل الله تعالى فرجه.

أما في حالة عدم إدراكه لظهور الإمام صاحب الزمان، أي؛ بعد الوفاة، فإن المقطع الذي نحن بصدده، هو المضمون الذي يتحدث عنه الدعاء في حالة الوفاة؛ أي عدم إدراكه لعصر الظهور، عند ذلك، يتوسل بالله – تعالى– ان يبعثه من قبره لنصرة الامام المهدي، المنتظر، عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قبل ان نتحدث عن مفردات فقرة التوسل في طلب الرجعة، وكيفية الدفاع عنها وسائر ما يتطلب الموقف في حينه، حيث يجدر بنا ان نتحدث عن ظاهرة الانبعاث او ما يطلق عليها بمصطلح «الرجعة»، أي: الرجوع الى الدنيا قبل قيام الساعة وذلك في عصر الظهور، إذ هناك نصوص قرآنية وروايات متنوعة تدل جميعاً على مفهوم الرجعة، حيث أنه امر واضح من حيث دلالة النصوص القرآنية؛ كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾، (سورة غافر؛ ١١)، يدل على ان الرجعة حق، ولاسيما بقية النصوص الدالة بوضوح على هذه الدلالة، إذ أن الدعاء الذي نتحدث عنه، يتناول هذا الجانب، والأهم من ذلك؛ أن قارئ الدعاء يتقدم بعاطفته، وبعقله، وبإيمانه، وبيقينه، بهذا التوسل.

تشير المفردة الأولى من هذه الفقرة إلى ظاهرة الموت والى كونه حتماً مقضياً؛ هنا ما يلفت الأنظار الى ما يستهدفه الامام الصادق، عليه السلام، من دلالاتٍ معرفية، تكمن في ظاهرة الموت، إذ كان بمقدور الامام الصادق، عليه السلام، أن يصيغ عبارة الدعاء بهذا النحو مثلاً: (اللهم ان حال الموت بيننا وبين عصر الظهور، فأخرجني من قبري...)، ولكنه، عليه السلام، لم يكتف بهذه العبارة بل اردفها بعبارة: «الَّذي جَعَلْتَهُ عَلى عِبادِكَ حَتْماً مَقْضِيّاً»، فإن عبارة «حَتْماً»، لم تكف للإشارة الى أن الموت هو حتميٌ بل اردفه بعبارة «مَقْضِيّاً».

إذاً؛ الإشارة الى الموت، والى ان الله – تعالى– جعله حتماً مقضياً ليست عبارة زائدة بحيث يُستغنى عنها، بل هي عبارة هادفة، الغرض منها تذكير قارئ الدعاء بظاهرة الموت وكونه حتماً مقضياً، مع ذلك فان الحتمية والقضاء تكمن فيه وتظل مرتبطة بالعودة او بالرجعة بعد الموت، هو حتميّ ومقضيّ، وهذه الرجعة هي الأمل الذي يلحّ قارئ الدعاء عليه، متوسلاً بالله – تعالى– ان يحققه من خلال توفيق القارئ، بان يصبح من الملتحقين بركاب الامام المهدي، عجل الله فرجه.

ومن ثم سوف نتناول بقية المقطع في قوله: «فَأَخْرِجْني مِنْ قَبْري مُؤْتَزِراً كَفَني شاهِراً سَيْفي مُجَرِّداً قَناتي مُلَبِّياً دَعْوَةَ الدّاعي فِي الْحاضِرِ وَالْبادي»، لما فيه من دلالات تخص ولاية الإمام المهدي، عجل الله تعالى فرجه، وما فيه من النكات التي ترتبط بسلاح قارئ الدعاء في بيان الهيئة العسكرية للفقرة القادمة تحت عنوان (تأهيل الاستعداد العسكري لنصرته عجل الله فرجه).

إليكِ سيدتي: بإمكانكِ أن تكوني مَثَلاً للزهراء

● إعداد: زهراء محمد علي*

من الصعب على أية امرأة في عالمنا اليوم، تصوّر – فقط التصور– أن تعيش أخلاق وسيرة الصديقة الزهراء، عليها السلام، علماً أن المرأة المسلمة في كل مكان بشكل عام، وفي الأوساط الشيعية بشكل خاص، ترى في الزهراء؛ الشخصية المقدسة والمتكاملة والناجحة، وما تردد ذكرها في الاوساط الاجتماعية والعلمية حتى اليوم، في البحث والدراسة، إلا دليل على جدارتها في كل شيء.

وندع الحديث عن اسباب نشوء هذا التصور في الأذهان الى مقام ومقال آخرين، ونسلط الضوء على امكانية تصحيح هذا التصور والاقتداء بهذه المرأة العظيمة علّنا نلتمس الطريق الى النجاة من ركام الازمات والمشاكل التي يتوقف معظمها على طريقة تفكير وعمل المرأة، منذ طفولتها وحتى مرحلة المراهقة والشباب والزواج، بل وحتى في خريف العمر.

● هل أكون مثل الزهراء؟!

أنه سؤال يتردد على لسان الكثير – إن لم نقل الجميع – من النساء في بلادنا، ما أن يجري الحديث عن سيرة حياة الزهراء؛ في تعاملها مع أبيها، أو في زواجها، وأثاث بيتها، وطريقة تعاملها مع زوجها؛ أمير المؤمنين، وأبنائها، عليهم السلام، وايضاً جيرانها، بل ومع المجتمع بأسره، وحتى مع أعدائها، وأول جواب لرد هذا الطلب يأتي من كون أنها ليست شخصية عادية، إنها ابنة خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد، صلى الله عليه وآله، كما لو أن العلاقة النسبية لها مدخلية دائمة في النشأة الصالحة للولد (الذكر والأنثى)، في حين ينسف القرآن الكريم، هذه النظرية بدليل ابن نبي الله نوح، عليه السلام، الذي انحرف عن الطريق بكفره بالله، وعصيان أمر أبيه، ولم يركب السفينة فكان المغرقين، وايضاً أبناء نبي الله يعقوب، عليه السلام، الذين انحرفوا عن الطريق بحسدهم لأخيهم الصغير يوسف، وكيف أنهم كادوا يقضون على حياته.

بمعنى أن الزهراء، عليها السلام، لم تجلس في البيت، وتقول: «أنا ابنة رسول الله، وعلى الآخرين احترامي وتقديسي، وحتى عليهم تقبيل يدي ورجلي لما أحظى من درجات التقوى والورع والزهد والعلاقة مع السماء»! وإنما كانت الصديقة الطاهرة، كأي بنت أخرى في المدينة المنورة – في ظاهرها طبعاً – ولكن؛ تفوقت وتميّزت بمكارم أخلاقها وحُسن سيرتها مع أهلها ومع الناس.

تتميز مدرسة أهل البيت، عليهم السلام، بأنها تنزّه المعصومين عن الربوبية، وعن أي نوع من أنواع التماثل مع الخالق - تعالى-

هذا المبدأ الأساس، طالما أكد عليه الأئمة المعصومون، عليهم السلام، ومنهم أمير المؤمنين، عليه السلام، الذي هتف قائلاً: «...وأنكم لا تقدرون على ذلك ولكن؛ أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»، فالزهد والتقوى والعدل وسائر الصفات العظيمة له، لم تكن آخر المطاف في حياة البشرية، كما كان هو، عليه السلام، يريد ذلك، وإلا لوجدنا القيم و المبادئ و الفضائل، مجرد كلمات جذابة ومثيرة في بطون الكتب، كما هي القصص والروايات المثيرة للمشاعر، ولساد الظلم والانحراف في كل مكان.

● المثل وليس المِثل

اذا اردنا ان نكسب النجاح والفلاح في حياتنا من خلال هذه الشخصية العظيمة، التي تُعد هبة ونعمة ربانية للإنسانية، يجدر بنا الإشارة الى إشكالية تُثار دائماً حول مفهومين يتعلقان بمسألة الاقتداء بالمعصومين، وحتى العظماء والناجحين:

المفهوم الأول: المِثل.

والمفهوم الثاني: المَثَل .

بالنسبة للمفهوم الأول؛ فمن الناحية اللغوية، هنالك مجموعة من الكلمات ربما تبدو مترادفةً في اللغة العربية، ولكن؛ عندما ندقق فيها نجد بعض الفوارق، فكلمة «النِد»، وهي – كما يقول الراغب في مفرداته – عبارةٌ عن الشيء المماثل لحقيقته، فإذا كان هنالك شيء له حقيقةٌ معينة وشيءٌ آخر يُماثله في هذه الحقيقة، يُقال للثاني بأنه نَدٌ للشيء الأول، وهنالك كلمة «الشِبه»، ويعني الشيء الذي يُماثل شيئاً آخر في كيفيته، فإذا تشابه شيئان في الكيفية، أو حقيقتان تماثلتا في اللون او الطعم أو الرائحة، سيُقال إن هذه شبهة لتلك، كما هنالك كلمة «الشيء المساوي»، ويعني الشيء الذي يُشارك شيئاً آخر في مقداره، كما هنالك «المِثل» وهي تختلف عن سابقاتها، ويستخدمها القرآن الكريم بشكل مختلف عن سائر المفردات في شمولها وفي سعتها، إذ إن كلمة المِثل تشمل المماثلة في الحقيقة وفي الكيفية وفي المساحة وفي الهيئة.

والقرآن الكريم حل الإشكالية بشكل حاسم بنفيه التام لمفهوم «المِثل» {ليس كمثله شيء}، بمعنى؛ ألا شيء في الحياة والكون مُشارك لله في حقيقته ومثله في صفاته وقدرته وإحاطته وكل ما يتفرّد به – سبحانه وتعالى–.

وتتميز مدرسة أهل البيت، عليهم السلام، بأنها تنزّه المعصومين عن الربوبية، وعن أي نوع من انواع التماثل مع الخالق – تعالى– وهو ما أوصونا به، عليهم السلام، فقد جاء في الأحاديث: «نزِّهونا عن الربوبية فنحن لسنا أربابا»، وهو دليل براءة من كل الغلاة والمتطرفين مهما كانوا.

بيد أن القرآن الكريم الذي ينفي «المِثل» فانه يؤكد «المَثل»:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ..﴾،

ولعل الظاهر من هذه الآية أن النور هو ذات الله سبحانه وتعالى، حيث تتحدث الآية الكريمة عن ذات الله التي هي ذات النور، ﴿نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فإذن للنور الإلهي مَثل، وجاء في «الكافي» للعلامة والمُحدّث الكليني – رحمة الله عليه – عن الإمام الصادق، صلوات الله عليه، أن هذه المشكاة – التي هي مَثل النور الإلهي – هي فاطمة الزهراء، صلوات الله وسلامه عليها[1].

واذا عرفنا معنى «المِثل»، يجدر بنا ايضاً معرفة «المَثل»، وبكل بساطة؛ فان الصورة المرسومة على الورق، هل تُعد مِثل صاحبها؟! وايضاً صورته في المرآة أو في الماء؟! قطعاً؛ كلا، إنما الصورة مجرد مَثل، لأنها لا تملك الحياة بالمرة، إنما هي مجرد صورة تنقل الملامح والشكل والهيأة وحسب، وإذن؛ فان أهل البيت، صلوات الله عليهم، هم المَثل الأعلى لله – تعالى– في صفاته و أسمائه وقدراته.

إن الله سبحانه قادر وقد تجلّت القدرة الإلهية في السيد المسيح الذي يأتي ويقف أمام إنسان ميت ويقول له: قم بإذن الله، إذن؛ هو مَثل للقدرة الإلهية، ومظهر من مظاهرها، ولكن أهل البيت، صلوات الله وسلامه عليهم، هم المثل الأعلى للقدرة الإلهية، وهم المثل الأعلى للعلم الإلهي والمثل الأعلى للولاية الإلهية.

● لنكن صورة عن الزهراء

قبل ان نجرّب الاقتداء بالصديقة الزهراء من خلال هذا المفهوم والطريق، فان الاحاديث الشريفة تساعدنا على المزيد من الايمان بقدراتنا على أن نكون الأفضل والأسمى دائماً في الحياة، بل نكون في حالة تسابق على الخيرات حتى نصل الى المستوى المطلوب.

جاء في الحديث القدسي:

«عبدي أطعني تُكن مَثلي، أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون»، والمعنى واضح في هذا الحديث، فاذا بلغ الانسان الدرجة التي يريدها الله – تعالى– من الطاعة، فانه يحظى بالقدرة التكوينية فيكون بإمكانه فعل المستحيلات، وما أدلّ على ما نذهب من لجوء الناس على بعض ممن بلغوا هذه المرتبة من الطاعة، لقضاء الحوائج وشفاء الأمراض المستعصية، وهم ليسوا بمعصومين، ولا كانوا في عهد الأئمة الأطهار، عليهم السلام، إنما يعيشون اليوم في عالمنا المعاصر.

على هذا الأساس بإمكان كل فتاة متعلمة او ربة بيت، أو تعمل في

مهنة معينة خارج البيت، وأي امرأة أخرى في المجتمع، ان تقيس قدراتها ومؤهلاتها مع الصور التي تركتها لنا الصديقة الطاهرة، في اسلوب حياتها وطريقة تعاملها مع الناس.

فليس المطلوب أن تكتفي المرأة والفتاة بثوب واحد او اثنين طيلة سنة كاملة، ولا أن تأكل الخبز مع اللبن – مثلاً– او أن تسكن في بيت من الطين، بل العكس من كل ذلك تماماً، المطلوب من الانسان ان يعيش بأحسن ما يكون ويتمتع بنعم الله – تعالى– فكل شيء في الحياة والكون مسخّر له ولتحقيق سعادته وعيشه الكريم.

إن الفقير الذي طرق باب دار الزهراء، عليها السلام، في ليلة زفافها، او تلك الحادثة المعروفة على مائدة الإفطار ولثلاثة أيام متوالية، ونزلت بحق أهل البيت، سورة قرآنية كاملة، هم نفس الفقراء الذين يطرقون أبواب بيوتنا، بل وانهم اليوم أكثر من أن يطرقوا الأبواب، فربما في العهد الذهبي للإسلام، كان الفقراء معدودين، بينما اليوم كُثر، وطالما يقبع الآلاف منهم في بيوتهم ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾، فلا فرق بين ذلك الفقير والفقير اليوم، بسوى بعض المظاهر الخارجية، وكذلك الحال بالنسبة للتعامل مع الجيران، فهل ثمة فارق بين جيران الصديقة الزهراء، والجيران لدينا اليوم؟

كانت الزهراء، عليها السلام، تدعو لجيرانها قبل ان تدعو لنفسها وأولادها، فماذا يعني هذا؟ انه ليس سوى القمة في الصفاء النفسي والطهر القلبي في العلاقة مع الآخرين، وهذه القضية ايضاً، تتبع القدرات والقابليات، فهناك من تتمكن من ذلك بدرجة وأخرى بدرجة متفاوتة وهكذا.

وإن كان هذا يصدق على التعامل مع الآخرين، فانه يصدق بكل تأكيد على الحالة الشخصية، فكيف كانت الصديقة الزهراء...؟ حجابها، معاشرتها لزوجها، تعاملها مع أولادها، كل هذا وغيره كثير في حياتها عبارة عن صور مضيئة لا ينبغي التفريط بها والتغافل عنها بأي حال من الاحوال.

ليس هذا فقط، بل إن علماءنا الابرار يشيرون الى ما هو أكثر دقّة، بأن يعيش الانسان في كوامن نفسه وضميره ومشاعره، هذه الشخصية العظيمة، كما حصل مع أحد الخطباء المعروفين في مدينة أصفهان – وسط ايران – وهو «حسام الواعظين»، وكانت له علاقة شديدة بأمه يقول هو: حين توفيت وأرادوا دفنها نزلت معها في قبرها من شدة تعلّقي وحبي لها، وحللتُ أزرار الكفن من طرف الرأس وكشفتُ عن وجهها ووضعتُ خدها على الأرض باتجاه القبلة، وبينا أنا على هذه الحالة، تذكرت كيف أنها كانت تجلس حتى وقت متأخر على عتبة الدار تنتظر عودتي من المجالس الحسينية في أيام محرم الحرام.

وكانت تقول لي: لقد فكرت انني لا استطيع خدمة الحسين، صلوات الله عليه، لذلك سأجلس على باب الدار وأنتظر خطيباً من خطباء سيد الشهداء لعلّ فاطمة الزهراء تقبلني جارية من جواريها.

ويضيف الخطيب قائلا: وأنا على هذه الحالة ومع تلك الذكرى الأليمة، توجهت فوراً نحو الصديقة الزهراء وخاطبتها؛ بأن هذه المرأة كانت تتمنى أن تكون جارية من جواريك، والآن هي في أشد حالات الحاجة إليك فضيّفيها عندك.

وبعد أيام من مراسيم الدفن جاءني أحد الجيران وقال لي: لقد رأيت أمك في عالم الرؤيا وقالت: قل لولدي إن تلك الكلمات التي قلتها في قبري نفعتني جداً وأنا الآن في ضيافة الزهراء.

إن ما قدمته الصديقة الزهراء، عليها السلام، للإنسانية من دروس في الحياة وفي مواجهة الظلم والانحراف وفي العيش الكريم، يتطلب منّا ردّ الجميل بما نتمكن وما يجب علينا فعله من الالتزام بالأحكام والقيم والمبادئ لتحقيق السعادة التي بلغتها الزهراء، عليها السلام، في حياتها، فاذا قرأنا التاريخ جيداً نجد أنها، عليها السلام، كانت تعيش أحلى الأيام وأسعدها، رغم بساطة الحياة وصعوبة الوسائل والمشقّة الظاهرية، أما المنغّصات والأزمات فكانت مفروضة من الخارج، ومن البعيدين عن الايمان والتقوى وعن الرسالة التي جاء بها أبوها رسول الله، صلى الله عليه وآله.

فالتي تكون مثالاً للزهراء، عليها السلام، بأي درجة كانت، وتكسب السعادة والهناء في حياتها، إنما تدخل السرور على قلب الزهراء التي كانت تمثل اليد الممدودة للعطاء والقلب الناصع في التعامل مع الآخرين والروح الشفافة مع الخالق – عّزوجل –.

---

* مقتبس من محاضرة لسماحة الفقيه الراحل السيد محمد رضا الشيرازي - قدس سره -

---

١- الكافي/ ج١/ ص ١٩٥.

اذا بلغ الانسان الدرجة التي يريدها الله - تعالى- من الطاعة، فانه يحظى بالقدرة التكوينية فيكون بإمكانه فعل المستحيلات

المرأة ومسؤولية الدفاع عن الإمامة - الصديقة الزهراء نموذجاً

● الشيخ عواد الكربلائي

أحدث الاسلام انقلاباً كبيراً في شخصية المرأة لم تعهده منذ عصور، حيث كانت تشهد الذل والهوان أمام الرجل، بينما وجدت نفسها في ظل الإسلام، ليس فقط مُكرمة ومصانة في حقوقها وكيانها، بل وقادرة على أدوار كبيرة في الحياة.

ولو تطلعنا في التاريخ الإسلامي، نجد للمرأة دوراً بارزاً في المجال الاجتماعي والسياسي، ومنها الدفاع عن الإمامة وعن مذهب أهل البيت، عليهم السلام، مفتدية بالصديقة الزهراء، عليها السلام، في كفاحها وجهادها ضد قوى الانحراف والتضليل، ومحاولات الاستيلاء على مقاليد الأمور والتحكّم برقاب المسلمين، كما يحصل اليوم.

نحن نعتقد من الأعماق أن الزهراء، سلام الله عليها، كانت رمز المرأة الناجحة في حياتها، ولكن؛ كيف حصل هذا؟ وكيف أن الزهراء، وهي فتاة صغيرة، كانت «أم أبيها»، وعندما بلغت مبلغ النساء، كانت مثال الزوجة المخلصة والحريصة على أن لا تثقل على زوجها (أمير المؤمنين) بطلب مهما كانت الحاجة، كما كانت المضمدة لجراحه وهو عائد من سوح الجهاد، كما كانت خير أم لأبنائها؟

إن الصديقة الطاهرة، خريجة مدرسة الوحي والرسالة، وهذا ليس بمعنى أن فضائلها وخصالها الحميدة كانت انعكاساً لكونها ابنة رسول الله، وخاتم الأنبياء، صلى الله عليه وآله، وإلا لانتفى معنى الاقتداء بها من الأساس، إنما مثلت لنا القدوة في تطبيق أحكام الدين وما جاء به نبي الإسلام بحذافيره، ولذا جاء في الحديث المأثور عنها، عليها السلام: «خير للمرأة ان لا ترى الرجل ولا الرجل يراها»، وهو القمة، والحد الأقصى من العفة للمرأة التي تريد صون شخصيتها وكرامتها.

ولعل الدور الأبرز الذي قامت به الصديقة الزهراء، عليها السلام؛ دفاعها عن الإمامة والولاية منذ الساعات الاولى التي غاب عن الأمة نبيها الأكرم، فبعد العودة من مراسيم الدفن، والاطلاع على ما جنى المنافقون على الامة من الاستيلاء على الحكم والتمكّن من رقاب المسلمين، خرجت مع بعلها أمير المؤمنين، على بيوت الأنصار يدعوانهم الى نصرة الحق، وكانت الزهراء، عليها السلام، تدعو الناس لنصرة أمير المؤمنين، وعدم خذلانه وتركه وحيداً في الميدان، فجاء الجواب:

«يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل (أبو بكر) ولو كان ابن عمك سبق الينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال الامام، عليه السلام: أ كنت أترك رسول الله، في بيته ميتاً وأخرج الى الناس أنازعهم سلطانه...»؟! ثم قالت الصديقة الطاهرة: ما صنع أبو الحسن، إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه.

وربما يسأل البعض عن كيفية أداء المرأة الدور الثقافي والسياسي في الساحة، وهي مطالبة بالاحتشام والابتعاد عن الاختلاط بالرجال؟ نقول: إن الصديقة الطاهرة، مثال العفة والحشمة في حجابها ومنطقها مع الناس، بيد أن الضرورات القصوى والمنعطفات الخطيرة في أوضاع الامة او البلد يحتم عليها الوقوف بقوة أمام الباطل والانحراف، وأن تؤازر الرجل في هذا المعترك، كما قامت بهذا الدور على أحسن وجه، بما يخلّده التاريخ، وذلك في خطبتها المعروفة بـ «الفدكية» المتضمنة معاني ودلالات عظيمة، وجاء فيها: «...وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا منه والله؛ نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعه، وتنمّره في ذات الله».

وما أن أنهت خطبتها في مسجد رسول الله، حتى عادت أدراجها الى بيتها، وقد ألقت الحجة كاملة على المسلمين ممن شهدوا الموقف، وكذلك للاجيال على مر الزمن، بأن الحق والفضيلة والقيم السامية لا يمكن تزويرها او حجبها مهما فعل الفاعلون، ومضت، عليها السلام، في هذا الطريق، وهي تكابد آلام المواجهة مع المنافقين من أعداء الدين، فكانت الأيام القليلة التي قضتها بين وفاة النبي الأكرم، وبين شهادتها، مشحونة بالدفاع عن ولاية أمير المؤمنين، وأن تبين للأمة الحقائق ليدركوا خطورة ما اقترفت ايديهم وما ينتج عن هذا من تبعات وويلات خطيرة على الامة على مر الزمان والأجيال، فلم يكن هذا الدفاع من منطلق عاطفي، كما يحصل لبعض النسوة إزاء أزواجهن او أفراد أسرهن، وإنما كان دفاعاً عن الاسلام.

• نوفل الحمداني

أنت أدرى
لعليٍّ وفاطمة في ذكرى رحيلها

ورجعتَ وحدَكَ..دونَ بسمتِها الألقْ
جبلاً من الأحزانِ..أيقظه القلقْ
ورجعتَ..
كلُّ خطاكَ يشعِلُها اصطبارٌ
تخبرُ النسماتِ حيّ على الأرقْ
جبلٌ على الذكرى تمرُّ
فتورقُ الدمعاتُ غيماً في الحدقْ
في كلِّ زاويةٍ رأيتَ اللهَ
في عينِ الحسينِ مُبللًا بالدمعِ
حدَّ الإخضرارِ
وحدَّ أن يَبِسَ النهارُ
وحدَّ أن هربَ الفلقْ
في كلِّ زاويةٍ رأيتَ خيالَ فاطمةٍ
وكانَ مكبَّلاً بالحزنِ
لا يقوى على حملِ الثيابِ ..
ولا العتابِ
حمامةٌ كانتْ على الأفراخِ موغلةٌ بكلِّ الحبِّ
من أوحى لها أن ترتدي ثوبَ الغياب

وبـأيِّ ذنـبٍ جنّـة الفـردوسِ يُخفـى قبرُهـا ويكـون فـي الأسـرارِ سـرا
وبـأيِّ ذنـبٍ يمّحـي ذاكَ البيـاض لكـي تعـودَ الـروحُ بالأحـزانِ صحـرا
يـا دار قولـي.. أيُّ نازلـةٍ ألمـتْ فيـكِ حتـى عـدتِ فـي الأرجـاءِ قفـرا
لا طيـفَ أحمـدَ لا حبيبـة قلبـه مـن أيـن يجلـبُ قلبـك المفجـوع صبـرا

ها هنا موعدٌ أولٌ للبكاء
من هنا انبثقتْ كربلاء
من هنا..
حين مرَّ على ضلعِها الغدرُ
مدَّت سنابكَ من خيلها الأشقياء
وكان الجنين إذن..
كلّ طفلٍ رضيعٍ تساقطَ بالنبلِ من دونِ ماء
وكل حريقِ الخيامِ ابتدى من هنا
ثم مرَّ بكلِ العصورِ ليمتدَّ نحو السماء
وكل طريقِ السبايا ابتدى من هنا..
همّه قبرها
همّه ضلعها ، وجنين لها
وليس المسير كما يدعي الأدعياء
وللآن يغتالها الحاقدون
ولكنها جبهة الله
ما اعتادت الإنحناء

أوّاه يـا هـذا التذكُّـر صـارَ جمـرا سجادةً ..ورحىً ..ومسبحةً ..وذكرى
ويـدٌ تهدهـدُ للحسـين بـكاءه ولزينـب الكبـرى جديلتهـا وأخـرى
عشرون لم تُكمِل... يدُ الأحزابِ مدّت مِنجـلاً لتحـوزَ مـن دنيـاك بـدرا

سعادة الدنيا والآخرة في معرفة الله

• نور الهدى ماجد

قبل نزول القرآن لم يكن الانسان يعرف أبعاد نعمة الحياة على الأرض، كما تعرّف اليوم، من خلال القوانين الطبيعية التي تحكمها بخلاف سائر بقية الكواكب، من حيث كونها مكيفة للعيش فيها من جميع جوانبها، فجاء القرآن الكريم ليبين هذه المعرفة الهامة انطلاقاً من الآية:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾. (سورة الملك: ١٥)

الهدف من بيان هذه الميزة للأرض التي نعيش فوقها، ليس لإضافة معلومات جديدة، بل هناك هدف حقيقي، وهي المعرفة بالخالق – تعالى– والتي تتميز بقيمة حقيقية، نعم؛ ربما الإنسان يفكر في ذلك، ولكنه يضع إجابات غير صحيحة، قد يصل في بعض الأحيان للشرك بالله وهو لا يشعر.

لقد جعل الله تعالى الأرض ميسّرة للإنسان، من حيث صلاحية المأكل والمشرب والهواء وغير ذلك، وإذا ما دققنا ذلك في الآية نقرأ: {وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}، فإنها تنسف كل القيم المادية التي تفسر الحياة تفسيراً مادياً، تحصر مسؤولية الإنسان في الوجود في مساحة ضيقة وتافهة، فإذا بها تنزل به الى مستوى قريب للأنعام، همّها الأكل والتكاثر.

بل للإنسان أن ينظر، هل يجد شيئاً خلق بلا هدف في الحياة؟ سيجد أن هنالك أهدافاً أعظم من مجرد الأكل والشرب والتكاثر، حتى التطلع للملك والخلود، ليس الهدف الأسمى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، (سورة الذاريات: ٥٦)، إنما الهدف الأسمى للإنسان هو العبادة بالتوجه إليه تعالى، ونحن نعيش على هذه الأرض، فتبين لنا الآية ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾، على مجمل حقائق الإيمان، حيث الإيمان بالآخرة والتسليم لله – عز وجل – نفسياً بالإيمان، وعملياً بإتباع رسله ومناهجه.

فعلى الإنسان أن يضع هدفه في مستقبله الأبدي وهو يمارس الحياة بكل صورها؛ بأن وصوله إلى غاياته في الآخرة، هو آخر ما يسعى إليه هو دار الآخرة.

وكما ينبغي للإنسان أن ينتفع من تذليل الأرض له من معرفته بربه، ويستشعر بقدرة الله على كل شيء؛ فإذا بتلك الأرض المذللة تصبح كالفرس الجامح تمور مورا، وإذا حدث تغييراً في النظام الكوني فإذا بالسماء تقوم بحمايتها من كل المخاطر فنستفيد من ذلك؛ إن تنعم الإنسان ببركات الله تعالى تعطيه توازناً نفسياً وعقلياً وعملياً، يسير بها نحو المسيرة الصحيحة في الحياة، عندها يصل الإنسان إلى اليقين بقدرة الله عليه، وتجتث من نفسه جذور الشرك، لكي لا يأمن مكر الله ويفسد في الأرض بعد إصلاحها، فإن الإفساد فيها خلاف حكمة الله تعالى، لذا انه سبحانه ركز على أولو الألباب، أي أصحاب العقول وخصهم بذلك؛ لأنه لا يعرف القرآن ولا يستفيد منه إلا من نما عقله وأخضع سلوكه لعقله، وتجاوز هواه وشهواته، وجدير بالقرآن ان يفهمه مثل هؤلاء.

خلاصة القول؛ لابد لكل إنسان أن يعرف ربه من خلال آيات الخلق ومفردات الحياة من خلال مشيه على الأرض وأكله الرزق، وهذا وحده لا يكفي، بل لابد له من التسليم لقدرة الله وطاعة أمره، حتى يعيش الإنسان عيشة طيبة وحياة هنيئة.

الجائزة العظمى من "أم أبيها"

• جواد السيد سجاد الرضوي

ماذا تفعل المرأة إذا ابتليت بزوج سيئ الخلق؟

وماذا تفعل إذا ابتليت بزوج شديد الغيرة عليها؟

ربما تلجأ مثل هذه الزوجة إلى القضاء؛ طالبة إنهاء العلاقة الزوجية إذا نفد صبرها، في تقديرها على الأقل، وربما يحكم القضاء لها بما تريد.

ولكن؛ لماذا تلجأ الزوجة إلى ما هو «أبغض الحلال عند الله»؛ وأمامها حل متاح، وجوائز كبيرة؛ عظماهن الحشر مع فاطمة الزهراء، عليها السلام؟!

الحل، ببساطة، هو الصبر.

نعم؛ ان تصبر الزوجة على سوء خلق زوجها، وان تصبر على غيرته عليها طوال حياتها معه.

إنها سنوات قليلة من الصبر ليست إلا، تنال الزوجة بعدها هذه الجوائز معا.

والصبر - في مفهومه الحقيقي - ليس حالة سلبية، وليس ضعفا، ولا مهانة، ولا مذلة، ولا مسكنة.

الصبر فعل؛ وإن كان لا يبدو في ظاهره كذلك؛ إنه فعل العظماء والعظيمات، وفعل النبلاء والنبيلات؛ بل هو في مقدمة أفعال وصفات المؤمنين والمؤمنات.

وهل هناك من امرأة واعية ورسالية «تفوت» على نفسها مثل هذه الجوائز العظيمة مقابل عدم صبرها لسنوات معدودات في دار الدنيا؟!

إن المشكلة ليست عادية؛ إنها معضلة حقيقية تعيشها نساء كثيرات في عوائل كثيرة، وهن حائرات؛ ماذا يفعلن تجاه سوء خلق أزواجهن، وتجاه غيرتهم عليهن!!

فالبيت الأسري متحول إلى صمت مطبق، ومن ثم إلى جحيم لا يطاق، والملفات التي تتناول حيثيات هذه القضايا تغطي مكاتب المحاكم.

ومن هذه المنافذ - تحديدا - تدخل الشياطين؛ فتوسوس في أذن الزوجة وتقول:

كلا؛ إن الصبر في مثل هذا المورد يهضم حقوقك، ويجرئ زوجك عليك، ويجعلك ذليلة ومسكينة!!! وأنت صاحبة قرار ورأي وحق كما الرجل؛ وأنت متساوية معه؛ وأمثال هذه الشبهات.

ولكن هذه هي وساوس الشياطين؛ ولنذهب الى مائدة أهل البيت، عليهم السلام.

وفي ذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء، عليها السلام، في شهر جمادى الأولى الحالي، وكذلك في ذكرى ميلادها المبارك في شهر جمادى الثانية، ألا يحلو لنسائنا الكريمات الجلوس على هذه المائدة المباركة؛ ليستمعن إلى رسول الله، صلى الله عليه وآله، ماذا يقول عن هذه الجوائز التي تفوق الوصف؟!

إنه يقول؛ كما أورده الديلمي في «إرشاد القلوب إلى الصواب»، ج١، ص١٧٥:

«ثلاث من النساء يرفع الله عنهن عذاب القبر، ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد، صلى الله عليه وآله: إمرأة صبرت على غيرة زوجها، وامرأة صبرت على سوء خلق زوجها، وامرأة وهبت صداقها لزوجها؛ يعطي الله - تعالى - لكل واحدة منهن ثواب ألف شهيد، ويكتب لكل واحدة منهن عبادة سنة».

هذه، إذن، هي الجائزة العظمى من «أم أبيها»، صلوات الله عليها، وعلى أبيها، وبعلها، وبنيها لكل الزوجات الصابرات؛ فتعالين وتسلمنها منها.

مكتبة البصائر

الخاصة بنشر مؤلفات

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج

السيد محمد تقي المدرسي دام ظله

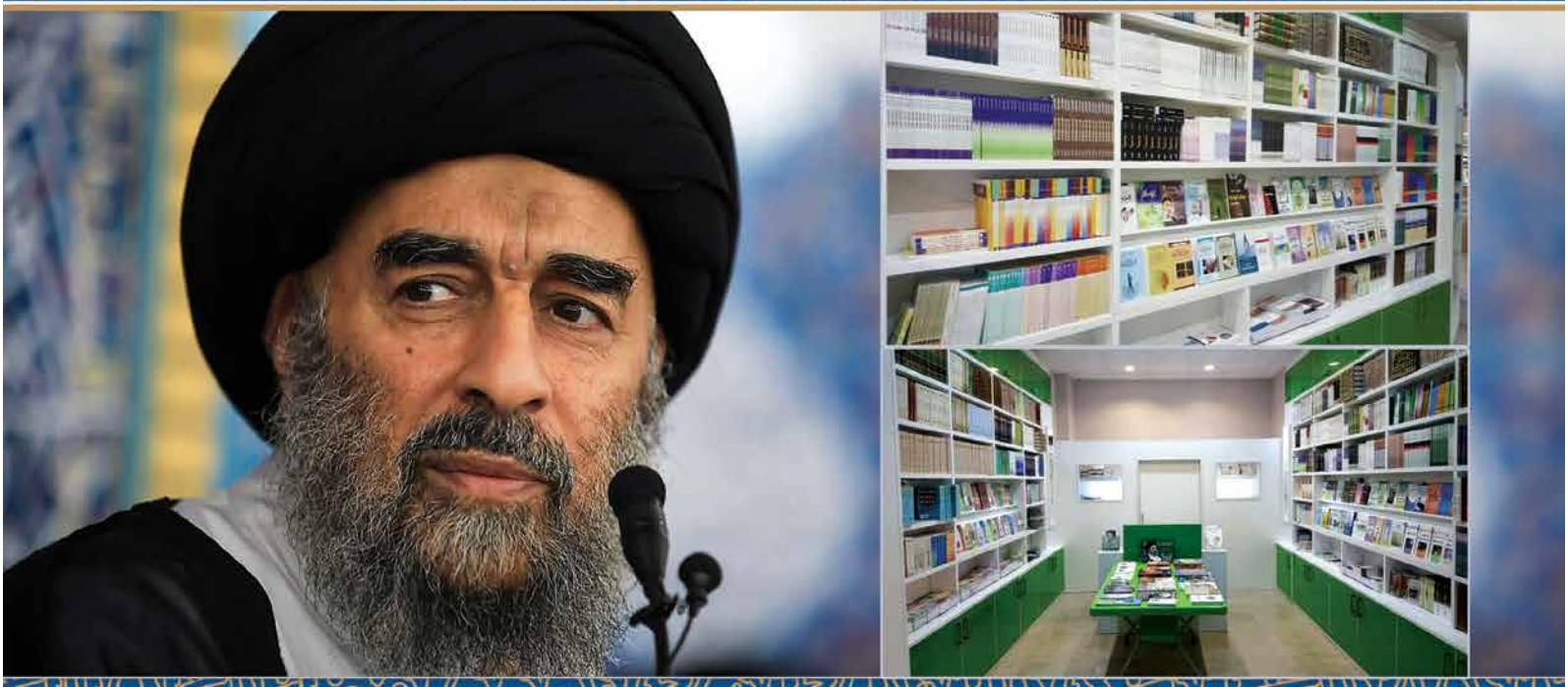

ايران - قم المقدسة - مجمع ناشران، الطابق الأول، المكتبة رقم١٣٢

albasaer.ir

+989905511659